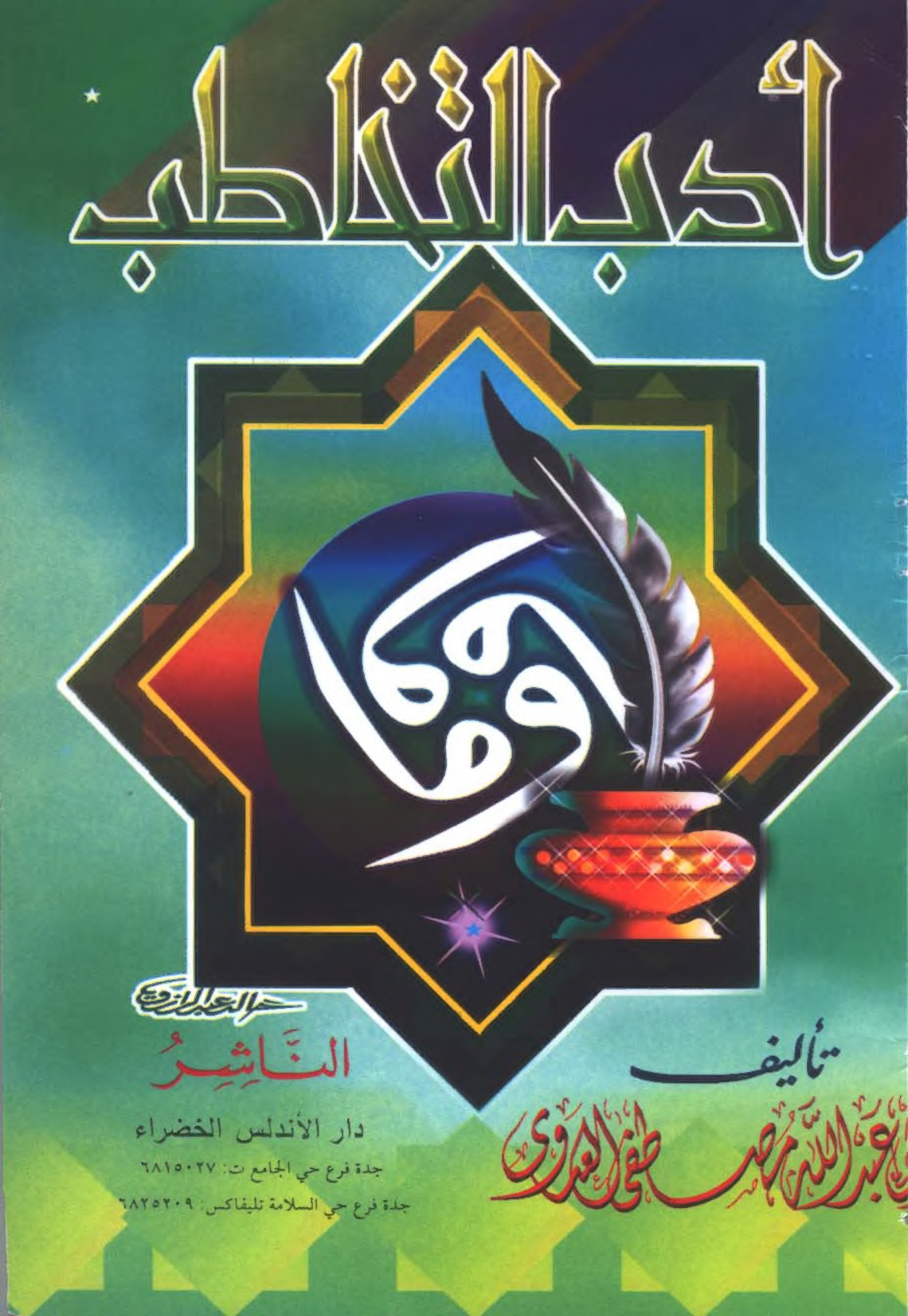


أدب التخاطب
تأليف
عبد الله مصطفى العدوي
الناشر
دار الأندلس الخضراء
جدة فرع حي الجامع ت: ٦٨١٥٠٢٧
جدة فرع حي السلامة تليفاكس: ٦٨٢٥٢٠٩

الطبعة الأولى

١٤٢٠هـ / ١٩٩٩م

رقم الإيداع
٩٩/١٠٤٢٠

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره ونستهديه ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا من يهده الله فلا مضل له ،ومن يضلل فلا هادى له ، وأشهد ألا إله إلا الله وحده لا شريك له ، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله ، وبعد :

فهذه رسالة موجزةٌ مختصرةٌ في أدب التخاطب والحديث مع الناس ، استللتها من بين ثنايا كتابي فقه الأخلاق والمعاملات مع المؤمنين ـ الذي يصدر تباعًا في أجزاء ـ وقمت بتنقيحها وترتيبها وإلحاق بعض الإضافات بها وذلك لما رأيت من احتياج المسلمين إلى هذا الأدب ، ونعم الأدب أدبٌ يستقى ويستخلص من كتاب ربنا وسنة نبينا ﷺ ثم من أقوال سلفنا الصالح وبالدرجة الأولى أصحاب نبينا ﷺ ورضي الله عنهم فكتاب ربنا يهدي للتي هي أقوم ، ويهدي إلى الرشد ، ويهدي إلى طريق مستقيم وأيضا فهو أحسن الحديث ، وهدي نبينا ﷺ خير هديٍ وأتمه وأكمله ونبينا ﷺ قد أُوتى جوامع الكلم [١] صلوات الله وسلامه عليه ، أما أصحابه رضي الله عنهم فهم خير القرون ، وخير أمة أخرجت للناس فمن ثمّ كان خير أدب على الإطلاق أدب أُخذ من كتاب الله ومن سنة رسول الله ﷺ ومن سيرة الصحابة الكرام الذين تخلقوا بأخلاق القرآن وتعلموا من النبي عليه الصلاة والسلام فمن ثمَّ عمدت إلى كتاب الله وسنة رسول الله ﷺ وطرق التخاطب التي سلكها

(١) صحيح وسيأتي إن شاء الله .

أصحابُ رسول الله ﷺ ، أَستخلِصُ من ذلك كله طريقةً أسأل الله أن يجعلها طريقةً حسنة للتخاطب مع الناس والحديث معهم سائلا الله عز وجل أن ينفعني بها وإخواني المسلمين وسائلا إياه سبحانه أن يجعل هذا عملاً خالصًا متقبلاً .

وصلي اللهم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم

والحمد لله رب العالمين

كتبه

أبو عبد الله / مصطفى بن العدوي شلباية

مصر ـ الدقهلية ـ منية سمنود

قلةُ الحديث والإعراض عن اللغو

فمن صفات أهل الإيمان الإعراضُ عن اللغو .

قال تعالى : ﴿قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ (1) الَّذِينَ هُمْ فِي صَلاتِهِمْ خَاشِعُونَ(2) وَالَّذِينَ هُمْ عَنِ اللَّغْوِ مُعْرِضُونَ ﴾ [المؤمنون ١ ـ ٣] .

وقال سبحانه في شأن عباد الرحمن : ﴿ وَإِذَا مَرُّوا بِاللَّغْوِ مَرُّوا كِرَامًا ﴾ [الفرقان : ٧٢] .

وقال سبحانه : ﴿ وَإِذَا سَمِعُوا اللَّغْوَ أَعْرَضُوا عَنْهُ وَقَالُوا لَنَا أَعْمَالُنَا وَلَكُمْ أَعْمَالُكُمْ سَلامٌ عَلَيْكُمْ لا نَبْتَغِي الْجَاهِلِينَ ﴾ [القصص : ٥٥] .

وقال تعالى : ﴿ وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الْجَاهِلُونَ قَالُوا سَلامًا ﴾ [الفرقان : ٦٣].

والثرثارون ـ وهم كثيروا الكلام ـ من أبغض الناس إلى رسول الله ﷺ قال ﷺ : « **إن من أحبكم إليَّ وأقربكم مني مجلسًا يوم القيامة أحاسنكم أخلاقًا ، وإن أبغضكم إليَّ وأبعدكم مني مجلسًا يوم القيامة الثرثارون والمتشدقون والمتفيقهون** » قالوا يا رسول الله ! قد علمنا الثرثارون والمتشدقون فما المتفيقهون ؟ قال : «**المتكبرون** »[1].

قال الترمذي رحمه الله : والثرثار هو كثير الكلام ،والمتشدق هو الذي يتطاول على الناس ويبذو عليهم .

وقد كره الله سبحانه وتعالى لنا قيل وقال ، قال النبي ﷺ : « **إن الله**

---

(١) أخرجه الترمذي (حديث ٢٠١٨) وقال هذا حديث حسن غريب من هذا الوجه .
قلت : (مصطفى) وله شواهد يُحسَّن بها ، انظر مسند الإمام أحمد (٤ /١٩٣ ـ ١٩٤)، (٢/ ١٨٥).

كره لكم قيل وقال وكثرة السؤال وإضاعة المال »[١] .

وانظر إلى حصائد الألسن وما تجره على صاحبها في قول النبي ﷺ : **«وهل يكب الناس على وجوههم في النار إلا حصائد ألسنتهم »**[٢] .

وفي قول النبي ﷺ : **إن العبد ليتكلم بالكلمة ما يتبين فيها يزل بها في النار أبعد مما بين المشرق والمغرب »**[٣] .

وفي قوله عليه الصلاة والسلام : « **إن العبد ليتكلم بالكلمة من رضوان الله لا يلقى لها بالاً يرفعه الله بها درجات ، وإن العبد ليتكلم بالكلمة من سخط الله لا يلقى لها بالاً يهوى بها في جهنم »**[٤] .

* * *

(١) أخرج البخاري (٧٢٩٢) ومسلم (حديث ٥٩٣ صـ ١٣٤١) من حديث المغيرة ابن شعبة الذي كتبه إلى معاوية لما طلب منه معاوية أن يرسل إليه بشيء سمعه من رسول الله ﷺ فكتب (. . كان النبي ﷺ ينهي عن قيل وقال وكثرة السؤال وإضاعة المال) .

(٢) صحيح لشواهده ، أخرجه الترمذي (٢٦١٦) من حديث معاذ بن جبل رضي الله عنه مرفوعًا، وانظر الحاكم (٤ / ٢٨٦) المستدرك .

(٣) البخاري (٦٤٧٧) ومسلم (٢٩٨٨) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه مرفوعًا .

(٤) البخاري (٦٤٧٨) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه مرفوعًا .

ثم إن الكلمات تُسطَّر وتكتب على العبد ويراها في صحائفه يوم القيامة

قال الله تبارك وتعالى : ﴿ مَا يَلْفِظُ مِن قَوْلٍ إِلاَّ لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ ﴾

[ق:١٨]

وقال سبحانه : ﴿ وَإِنَّ عَلَيْكُمْ لَحَافِظِينَ (١٠) كِرَامًا كَاتِبِينَ (١١) يَعْلَمُونَ مَا تَفْعَلُونَ ﴾ [الإنفطار : ١٠ ـ ١٢] .

وقال سبحانه : ﴿ هَذَا كِتَابُنَا يَنطِقُ عَلَيْكُم بِالْحَقِّ إِنَّا كُنَّا نَسْتَنسِخُ مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴾ [الجاثية : ٢٩] .

وقال تعالى : ﴿ أَحْصَاهُ اللَّهُ وَنَسُوهُ ﴾ [المجادلة : ٦] .

وقال سبحانه : ﴿ وَوُضِعَ الْكِتَابُ فَتَرَى الْمُجْرِمِينَ مُشْفِقِينَ مِمَّا فِيهِ وَيَقُولُونَ يَا وَيْلَتَنَا مَالِهَذَا الْكِتَابِ لا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلا كَبِيرَةً إِلاَّ أَحْصَاهَا وَوَجَدُوا مَا عَمِلُوا حَاضِرًا وَلا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا ﴾ [الكهف : ٤٩] .

وقال سبحانه : ﴿ وَكُلُّ شَيْءٍ فَعَلُوهُ فِي الزُّبُرِ (٥٢) وَكُلُّ صَغِيرٍ وَكَبِيرٍ مُّسْتَطَرٌ ﴾ [القمر : ٥٢ ـ ٥٣] .

وكثرة الكلام تسبب مللاً للناس فيعرضون عنك ولا يشتهون حديثك أخرج البخاري ومسلم [١] من طريق أبي وائل قال : « كان عبد الله [٢] يُذكِّر الناس في كل خميس فقال له رجل : يا أبا عبد الرحمن لوددت أنك ذكرتنا

---

(١) البخاري (حديث ٧٠) ومسلم (حديث ٢٨٢١) .

(٢) عبد الله هو ابن مسعود .

كل يوم ، قال أما إنه يمنعني من ذلك أني أكره أن أُملَّكُم ، وإني أتخوَّلكم(١) بالموعظة كما كان النبي ﷺ يتخولنا بها مخافة السآمة علينا » .

ولذلك استحب للخطيب يوم الجمعة أن يُقصَّر الخطبة ، قال النبي ﷺ: «**إن طول صلاة الرجل وقصر خطبته مئنة على فقهه فأطيلوا الصلاة واقصروا الخطبة ، وإن من البيان لسحراً** »(٢) . وكان عليه الصلاة والسلام : « **يُحدّث حديثًا لو عدَّه العاد لأحصاه** »(٣) .

وقد حثنا ربنا على الاقتصار على الخير من الكلام وترك ما سوى ذلك .

قال تعالى : ﴿ **لا خَيْرَ فِي كَثِيرٍ مِّن نَّجْوَاهُمْ إِلاَّ مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوْ مَعْرُوفٍ أَوْ إِصْلاحٍ بَيْنَ النَّاسِ وَمَن يَفْعَلْ ذَلِكَ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا** ﴾ [النساء : ١١٤].

وإلى ذلك أرشدنا نبينا عليه الصلاة والسلام :

قال عليه الصلاة والسلام : « **من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليقل خيراً أو ليصمت** »(٤) .

---

(١) التخوُّل هو التعاهد ، والمعنى : كان يراعي الأوقات في تذكيرنا ولا يفعل ذلك كل يوم لئلا نمل ، قاله الحافظ ابن حجر رحمه الله .
وقال أيضًا : ويستفاد من الحديث استحباب ترك المداومة في الجد في العمل خشية الملال ، وإن كانت المواظبة مطلوبة لكنها على قسمين ، إما كل يوم مع عدم التكليف ، وإما يومًا بعد يوم فيكون يوم الترك لأجل الراحة ليقبل على الثاني بنشاط ، وإما يومًا في الجمعة ، ويختلف باختلاف الأحوال والأشخاص والضابط الحاجة مع مراعاة وجود النشاط .

(٢) أخرجه مسلم (حديث ٨٦٩) من حديث عمار بن ياسر رضي الله عنهما مرفوعا ، وقد انتقد على مسلم لكن له شواهد .

(٣) أخرجه البخاري (٣٥٦٧) ومسلم (٢٤٩٣) .

(٤) البخاري (٦٤٧٥) ومسلم (حديث ٤٧) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه مرفوعًا.

وحثنا نبينا عليه الصلاة والسلام على حفظ ألسنتنا :

فقال عليه الصلاة والسلام : « **من يضمن لي ما بين لحييه وما بين رجليه أضمن له الجنة** »[(١)] .

وقال عليه الصلاة والسلام : « **من صمت نجا** »[(٢)] .

* فالاختصار والإيجاز في الحديث مطلوب .

وهذا من الفقه ، فقلل الكلام قدر الاستطاعة ما دام الكلام مفهومًا وركز على المفيد من الكلام والنافع منه ، فمن مناقب نبينا محمد صلى الله عليه وآله وسلم أنه أوتى جوامع الكلم[(٣)] .

وقد أنعم الله سبحانه وتعالى علي نبيه داود بأنه آتاه الحكمة وفصل الخطاب .

قال تعالى : ﴿ **وَآتَيْنَاهُ الْحِكْمَةَ وَفَصْلَ الْخِطَابِ** ﴾ [ص : ٢٠] .

ولما قدم وفد عبد القيس على رسول الله ﷺ قالوا له يا رسول الله : «إنا نأتيك من شقة بعيده ، وإن بيننا وبينك هذا الحي من كفار مُضر وإنا لا

---

(١) البخاري (٦٤٧٤) من حديث سهل بن سعد رضي الله عنه مرفوعًا .
(٢) حسن ، أخرجه عبد بن حميد (المنتخب بتحقيقي ٣٤٥) وأحمد (٣ / ١٥٨ ، ١٧٧).
(٣) أخرج البخاري (حديث ٢٩٧٧) ومسلم (صـ ٣٧١) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : «بعثت بجوامع الكلم . . وفي لفظ للبخاري (٦٩٩٨): أعطيت مفاتيح الكلم .
وفي لفظ لمسلم (حديث (٥٢٣) : فضلّت على الأنبياء بستٍ : أعطيت جوامع الكلم . .
وفي لفظ آخر لمسلم (صـ ٣٧٢) : وأوتيت جوامع الكلم .

نستطيع أن نأتيك إلا في الشهر الحرام ، فمرنا بأمرٍ فصل نخبر به من وراءنا وندخل به الجنة . الحديث[1] .

فقد طلبوا بإيجاز ما يدخلون به الجنة .

فهل يليق بك بعد هذه النصوص كلها أن تكون ثرثاراً ؟!!

هل ترضى أن تملأ صحائفك يوم القيامة بالقيل والقال واللغو ،وأن تسوِّد صحائفك باغتياب المؤمنين والمؤمنات والطعن في أعراضهم .

إن كثرة الكلام مدعاةٌ لطول الحساب !

وكثرته مذهبة للهيبة والبهاء !

وكثرته مذهبة للرزانة والوقار !

وكثرته مدعاةٌ لكثرة الأخطاء !

وكثير الكلام لا يكاد الناس يستمعون إليه فكثرة الكلام يُنسي بعضها بعضا .

ولذلك كانت كلمات رسول الله ﷺ يسيرة وقليلة ، كان عليه الصلاة والسلام يتكلم كلامًا لو عدَّه العاد لأحصاه [2].

فصلوات الله وسلامه على نبينا محمد ﷺ ذي الخلق العظيم الذي بعث متممًا لمكارم الأخلاق .

---

(١) البخاري (حديث ٥٣) ومسلم (صـ ٤٨) من حديث ابن عباس رضي الله عنه أن وفد عبد القيس لما قدموا . . . الحديث .

(٢) صحيح ، وقد تقدم .

* وقلل من المسائل قدر الاستطاعة ، إلا ما لابد منه .

فقد قال النبي ﷺ : « **إن الله كره لكم قيل وقال وكثرة السؤال** » .

وقال عليه الصلاة والسلام : « **فإنما هلك من كان قبلكم بكثرة سؤالهم واختلافهم على أنبيائهم** »[1] .

وقال سبحانه : ﴿ **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَسْأَلُوا عَنْ أَشْيَاءَ إِن تُبْدَ لَكُمْ تَسُؤْكُمْ** ﴾ [المائدة: ١٠١] .

تأكيد الإمساك
عن الكلام إذا لم يكن في الكلام فائدة

ويتأكد الإمساك عن الكلام ويُمنع الخوض فيه إذا لم يكن في الكلام فائدة فها هي مريم تقول للملك : ﴿ **أَنَّىٰ يَكُونُ لِي غُلامٌ وَلَمْ يَمْسَسْنِي بَشَرٌ وَلَمْ أَكُ بَغِيًّا** ﴾ [مريم: ٢٠] .

فيجيبها الملك بقوله : ﴿ **قَالَ كَذَلِكِ قَالَ رَبُّكِ هُوَ عَلَيَّ هَيِّنٌ وَلِنَجْعَلَهُ آيَةً لِّلنَّاسِ وَرَحْمَةً مِّنَّا وَكَانَ أَمْرًا مَّقْضِيًّا** ﴾ [مريم : ٢١] .

حقًّا إنه أمر قد قضي وقدره الله سبحانه وتعالى فلا معنى حينئذ للإكثار من المراجعات !

ونحوه قول الخليل إبراهيم عليه السلام لما أُخبر أن الملائكة متجهون إلى تدمير قرى قوم لوط يجادل عليه الصلاة والسلام في شأن قوم لوط فتجيبه الملائكة بقولهم : ﴿ **يَا إِبْرَاهِيمُ أَعْرِضْ عَنْ هَذَا إِنَّهُ قَدْ جَاءَ أَمْرُ رَبِّكَ وَإِنَّهُمْ**

---

(١) مسلم (حديث ١٣٣٧) .

آتِيهِمْ عَذَابٌ غَيْرُ مَرْدُودٍ﴾ [هود : ٧٦] .

فما دام قد جاء أمر الله ، وما دام قد قضى الله هذا الأمر فلمَ الجدل في شأن هؤلاء الأقوام ؟ ! .

وها هي مريم عليها السلام لما حملت بعيسى عليه السلام يأمرها ربها فيقول لها: ﴿ فَإِمَّا تَرَيِنَّ مِنَ الْبَشَرِ أَحَدًا فَقُولِي إِنِّي نَذَرْتُ لِلرَّحْمَنِ صَوْمًا فَلَنْ أُكَلِّمَ الْيَوْمَ إِنسِيًّا ﴾ [مريم ٢٦] .

لم لا تكلّم إنسيًّا ؟ !

إن البشر يستنكرون حملها !! يستنكرون وضعها !! يستنكرون مجيئها بالطفل!! إنها مهما اعتذرت ومهما قدمت من مبررات فلن تقبل هذه المبررات ! فمن ثمَّ فلا فائدة في الكلام ولا فائدة في الاعتذار ! ولا جدوى من وراء إيراد المبررات !!

فحينئذ الصمت أولى ، والصمت أجدى والصمت أليق ! ولله في ذلك حِكم أُخر ، منها أن معجزة ما ستحدث ،وقد حدثت ، تكلم عيسى عليه السلام وهو في المهد !.

والفتية أصحاب الكهف تنازعوا شيئًا ما في تحديد المدة التي لبثوها ثم أعرضوا عن الجدل إذ لا فائدة فيه .

قال تعالى : ﴿ رَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَا لَبِثْتُمْ ... ﴾ [الكهف : ١٩] .

حقًا فربكم أعلم بما لبثتم ، وما الفائدة من وراء السؤال ؟!

وأيضًا لما اختلف القوم من بعدهم في عددهم أمر الله بالإعراض عن

الخوض في أمرهم بغير علم ، قال الله سبحانه وتعالى : ﴿ **سَيَقُولُونَ ثَلاثَةٌ رَّابِعُهُمْ كَلْبُهُمْ وَيَقُولُونَ خَمْسَةٌ سَادِسُهُمْ كَلْبُهُمْ رَجْمًا بِالْغَيْبِ وَيَقُولُونَ سَبْعَةٌ وَثَامِنُهُمْ كَلْبُهُمْ قُل رَّبِّي أَعْلَمُ بِعِدَّتِهِم مَّا يَعْلَمُهُمْ إِلاَّ قَلِيلٌ فَلا تُمَارِ فِيهِمْ إِلاَّ مِرَاءً ظَاهِرًا وَلا تَسْتَفْتِ فِيهِم مِّنْهُمْ أَحَدًا** ﴾ [الكهف : ٢٢] .

وها هي أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها تقول لما قال لها رسول الله ﷺ : «**فإن كنت بريئة فسيبرؤك الله عز وجل ، وإن كنت ألممت بذنب فاستغفري الله وتوبي إليه فإن العبد إذا اعترف بذنبه ثم تاب إلى الله تاب الله عليه** » .

فبم تجيب عائشة رضي الله تعالى عنها ؟!

إنها إن أظهرت براءتها لم يصدقوها ، وإن تقوَّلت على نفسها صدقوها! فماذا عساها أن تقول حينئذ إنها قالت : « **إني والله لقد علمت لقد سمعتم هذا الحديث حتى استقر في أنفسكم وصدقتم به فلئن قلت لكم إني بريئة ، والله يعلم أني بريئة لا تصدقونني بذلك ، ولئن اعترفت لكم بأمر ، والله يعلم أني منه بريئة لتصدقنني ، والله ما أجد لي ولكم مثلاً إلا قول أبي يوسف قال : ﴿ فَصَبْرٌ جَمِيلٌ وَاللَّهُ الْمُسْتَعَانُ عَلَىٰ مَا تَصِفُونَ ﴾** »[1] [يوسف : ١٨] .

فعلى ذلك لا تتكلم إذا لم يكن للكلام فائدة .

*** وكذلك إذا كان القول بلا علم فامتنع :**

قال الله تبارك وتعالى : ﴿ **وَلا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْؤُولاً** ﴾ [الإسراء : ٣٦] .

---

(١) أخرجه البخاري (حديث ٤٧٥٠) ومسلم (٢٧٧٠) .

وقال تعالى : ﴿ **فَلا تُمَارِ فِيهِمْ إِلاَّ مِرَاءً ظَاهِرًا وَلا تَسْتَفْتِ فِيهِم مِّنْهُمْ أَحَدًا** ﴾ [الكهف : ٢٢] .

وقال تعالى : ﴿ **وَتَقُولُونَ بِأَفْوَاهِكُم مَّا لَيْسَ لَكُم بِهِ عِلْمٌ وَتَحْسَبُونَهُ هَيِّنًا وَهُوَ عِندَ اللَّهِ عَظِيمٌ** ﴾ [النور : ١٥] .

وقال سبحانه : ﴿ **ها أنتم هؤلاء حاججتم فيما لكم به علم فلم تحاجون فيما ليس لكم به علم ، والله يعلم وأنتم لا تعلمون** ﴾ .

وليس من العيب أن تعتذر عن الجواب إن كنت لا تعلم .

فقد قال تعالى : ﴿ **ويسألونك عن الروح قل الروح من أمر ربي وما أوتيتم من العلم إلا قليلا** ﴾ .

وقال تعالى ﴿ **يسألونك عن الساعة أيان مرساهاقل إنما علمها عند ربي لا يجليها لوقتها إلا هو** » .

ولما سأل جبريلُ رسول الله ﷺ عن الساعة ، قال عليه الصلاة والسلام: «**ما المسؤول عنها بأعلم من السائل** »[1] .

*** ولا تكثر من الجدل والخلاف**

فالتلاحى سبب لرفع الخير ، فقد رفع العلم بليلة القدر لما تلاحى رجلان من أصحاب النبي ﷺ ففي الصحيح[2] من حديث عبادة بن الصامت رضي الله عنه قال خرج رسول الله ﷺ ليخبر الناس بليلة القدر فتلاحى رجلان من المسلمين قال النبي ﷺ : « **خرجت لأخبركم فتلاحى فلان وفلان**

---

(١) مسلم (حديث ٨) من حديث عمر رضي الله عنه .
(٢) البخاري (حديث ٦٠٤٨) .

وإنها رفعت ، وعسى أن يكون خيرًا فالتمسوها في التاسعة والسابعة والخامسة».

وفي رواية لمسلم[١] من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال : « **يا أيها الناس إنها كانت أُبينت لي ليلة القدر ، وإني خرجت لأخبركم بها فجاء رجلان يحتقَّان معهما الشيطان فنسِّيتها** . . . . الحديث » .

وقد حرمنا وصية رسول الله ﷺ بسبب الخلاف الذي دار بين بعض الصحابة رضي الله عنهم وعفا عنهم .

ففي الصحيحين[٢] من حديث ابن عباس رضي الله عنهما قال : لما حُضر رسول الله ﷺ وفي البيت رجال فيهم عمر بن الخطاب ، فقال النبي ﷺ هلمَّ أكتب لكم كتابًا لا تضلوا بعده أبدًا » فقال عمر إن رسول الله ﷺ قد غلب عليه الوجع وعندكم القرآن ، حسبنا كتاب الله فاختلف أهل البيت فاختصموا فمنهم من يقول قرِّبوا يكتب لكم رسول الله ﷺ كتابًا لن تضلوا بعده ،وفيهم من يقول ما قال عمر ، فلما أكثروا اللغو والاختلاف عند رسول الله ﷺ قال رسول الله ﷺ : « **قوموا** » قال عبيد الله : فكان ابن عباس يقول : « إن الرزية كلَّ الرزية ما حال بين رسول الله ﷺ وبين أن يكتب لهم ذلك الكتاب من اختلافهم ولغطهم» .

*** والجدال بالتي هي أحسن لتقرير الحق محمود .**

قال الله تبارك وتعالى : ﴿ **ادْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ**

---

(١) مسلم (صـ ٨٢٧) .

(٢) البخاري (حديث ١١٤) ومسلم (صـ ١٢٥٩) .

﴿الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُم بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾ [النحل: ١٢٥] .

وقال تعالى: ﴿ وَلا تُجَادِلُوا أَهْلَ الْكِتَابِ إِلاَّ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِلاَّ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ﴾ [العنكبوت: ٤٦] .

وقال قوم نوح لنوحٍ عليه السلام: ﴿ يَا نُوحُ قَدْ جَادَلْتَنَا فَأَكْثَرْتَ جِدَالَنَا﴾ [هود: ٣٢]

*** لكن إذا وصل الجدال إلى حد المراء فاتركه .**

قال النبي ﷺ: «**أنا زعيم بيت في ربض الجنة لمن ترك المراء ولو كان محقًا**»[1] .

ولما ذهب رسول الله ﷺ إلى على وفاطمة يوقظهما لصلاة الليل قال له على: « إن أنفسنا بيد الله » .

انصرف رسول الله ﷺ وهو يضرب بيده على فخذه قائلاً: ﴿ وَكَانَ الإِنسَانُ أَكْثَرَ شَيْءٍ جَدَلاً ﴾ [الكهف: ٥٤] .

وكذلك لما جاء المشركون يخاصمون رسول الله ﷺ في القدر لم يستطرد معهم رسول الله ﷺ في الحديث ونزل قوله تعالى: ﴿ ذُوقُوا مَسَّ سَقَرَ ﴿٤٨﴾ إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ﴾[2] [القمر: ٤٨ ـ ٤٩] .

فلا تفتح بابًا للجدل ولا تسمح بمجادلة في هذا المقام ، فالله سبحانه وتعالى لا يُسأل عما يفعل وهم يسألون .

---

(١) أبو داود (حديث ٤٨٠٠) بإسناد حسن لشواهده .

(٢) أخرج مسلم في صحيحه (حديث ٢٦٥٦) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: جاء مشركو قريش يخاصمون رسول الله ﷺ في القدر فنزلت: ﴿ ذُوقُوا مَسَّ سَقَرَ . إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ ﴾ [القمر: ٤٨ ـ ٤٩] .

وأكثر في حديثك مع
الناس من ذكر الله ومن التذكير به

فالذاكرون يذكرهم الله سبحانه وتعالى ، قال تعالى : ﴿ **فَاذْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ** ﴾ [البقرة :١٥٢] ، وفي الحديث القدسي : « **أنا عند ظن عبدي بي، وأنا معه إذا ذكرني ، فإن ذكرني في نفسه ذكرته في نفسي ، وإن ذكرني في ملأ ذكرته في ملإٍ خير منهم** »[1] .

﴿ **وَالذَّاكِرِينَ اللَّهَ كَثِيراً وَالذَّاكِرَاتِ أَعَدَّ اللَّهُ لَهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْراً عَظِيماً** ﴾

[الأحزاب: ٣٥]

وذكر الله يطمئن القلوب ويرطب الألسن ، ويقوي الأبدان .

قال الله تعالى : ﴿ **الَّذِينَ آمَنُوا وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُم بِذِكْرِ اللَّهِ أَلا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ** ﴾ [الرعد:٢٨] .

وقال النبي ﷺ : « **لا يزال لسانك رطبًا من ذكر الله عز وجل** » .

وقد أرشد النبي ﷺ ابنته فاطمة رضي الله عنها إلى ما هو خير لها من خادم فقال لما جاءت تسأله خادمًا : « **ألا أدلك على ما هو خير لك من خادم؟ تسبحين الله ثلاثًا وثلاثين ،وتحمدين الله ثلاثًا وثلاثين ، وتكبرين الله أربعًا وثلاثين حين تأخذين مضجعك** »[2] .

وقال هود عليه السلام لقومه : ﴿ **وَيَا قَوْمِ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ**

---

(١) البخاري (مع الفتح ١٣ / ٣٨٤) ،ومسلم (مع النووي ١٧ / ٢) .

(٢) البخاري ( ) ومسلم (صـ ٢٠٩٢) .

يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُم مِّدْرَاراً وَيَزِدْكُمْ قُوَّةً إِلَىٰ قُوَّتِكُمْ وَلا تَتَوَلَّوْا مُجْرِمِينَ ﴾

[هود : ٥٢]

وبذكر الله تُستجلب الأرزاق وتدفع المصائب .

فالاستغفار من ذكر الله ،و قد قال الله فيه : ﴿ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّارًا ﴿١٠﴾ يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُم مِّدْرَارًا ﴿١١﴾ وَيُمْدِدْكُم بِأَمْوَالٍ وَبَنِينَ وَيَجْعَل لَّكُمْ جَنَّاتٍ وَيَجْعَل لَّكُمْ أَنْهَارًا﴾ [نوح : ١٠ ـ ١٢] .

وقال تعالى : ﴿ وَمَا كَانَ اللَّهُ مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ ﴾ [الأنفال : ٣٣]

وقال سبحانه : ﴿ مَا يَفْعَلُ اللَّهُ بِعَذَابِكُمْ إِن شَكَرْتُمْ وَآمَنتُمْ ﴾[النساء : ١٤٧]

وبذكر الله ترفع الدرجات وتحط الخطيئات وتغفر الذنوب والزلات .

وبذكر الله يخنس الشيطان ويهدأ الغضبان .

فعليك بذكر الله والإكثار منه وتذكير الناس بالله سبحانه عند بيعك وشرائك وأخذك وعطائك ودخولك وخروجك وذهابك وإيابك ومجلسك وقيامك وعقودك وسائر معاملاتك ، فذكر الله يرضي الله عنك ويجلب محبته لك ومن ثمَّ يحبب فيك الخلق فإذا أحب الله عبدًا دعا جيريل فقال : « **إني أحب فلانًا فأحبه فيحبه جبريل ثم يوضع له القبول في الأرض** »[1] .

وأيضًا قد قال تعالى : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَيَجْعَلُ لَهُمُ الرَّحْمَنُ وُدًّا﴾ [مريم : ٩٦] أي محبة في قلوب العباد .

---

(١) البخاري (٦٠٤٠) ومسلم (٦٣٧) من حديث أبي هريرة ـ رضي الله عنه مرفوعًا والترمذي كذلك .

ثم إن التذكير بالله ينفع أهل الإيمان في تعاملهم معك فالذكرى تنفع المؤمنين فإذا فكر أحدهم في غشك أو خداعك وذكرته بالله تذكر ، قال تعالى : ﴿ **وَذَكِّرْ فَإِنَّ الذِّكْرَىٰ تَنفَعُ الْمُؤْمِنِينَ** ﴾ [الذاريات : ٥٥] .

ألا ترى إلى قول موسى صلى الله عليه وآله وسلم لما تعاقد مع العبد الصالح على أن يكون أجيرًا عنده قال له : ﴿ **قَالَ ذَٰلِكَ بَيْنِي وَبَيْنَكَ أَيَّمَا الْأَجَلَيْنِ قَضَيْتُ فَلَا عُدْوَانَ عَلَيَّ وَاللَّهُ عَلَىٰ مَا نَقُولُ وَكِيلٌ** ﴾ [القصص : ٢٨].

ألا ترى إلى تلك المرأة التي ألجأتها الحاجة إلى أن تمكن ابن عمها من نفسها ثم استدركت وذكرته بقولها : « **اتق الله ولا تفض الخاتم إلا بحقه** »[1] فقام عنها .

ألا تستمع إلى قول رسولنا الكريم محمد ﷺ ، وهو يذكِّر بالله : ﴿ **قُلْ يَجْمَعُ بَيْنَنَا رَبُّنَا ثُمَّ يَفْتَحُ بَيْنَنَا بِالْحَقِّ وَهُوَ الْفَتَّاحُ الْعَلِيمُ** ﴾ [سبأ : ٢٦] .

ألم تقرأ قوله تعالى : ﴿ **اللَّهُ رَبُّنَا وَرَبُّكُمْ لَنَا أَعْمَالُنَا وَلَكُمْ أَعْمَالُكُمْ لَا حُجَّةَ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ اللَّهُ يَجْمَعُ بَيْنَنَا وَإِلَيْهِ الْمَصِيرُ** ﴾ [الشورى : ١٥] .

---

(١) أخرجه البخاري (حديث ٣٤٦٥) ومسلم (حديث ٢٧٤٣) من حديث ابن عمر رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ قال : « بينما ثلاثة نفر ممن كان قبلكم إذ أصابهم مطر فأووا إلى غار فانطبق عليهم فقال بعضهم لبعض : إنه والله يا هؤلاء لا ينجيكم إلا الصدق فليدع كل رجلٍ منكم بما يعلم أنه قد صدق فيه » . . . فذكر الحديث وفيه فقال الآخر : اللهم إن كنت تعلم أنه كانت لي ابنة عم من أحب الناس إليَّ ، وإني راودتها عن نفسها فأبت إلا أن آتيها بمائة دينار فطلبتها حتى قدرت فأتيتها بها فدفعتها إليها فأمكنتني من نفسها فلما قعدت بين رجليها فقالت : « **اتق الله ولا تفض الخاتم إلا بحقه** » فقمت وتركت المائة دينار فإن كنت تعلم أني فعلت ذلك من خشيتك ففرِّج عنا ففرَّج الله عنهم فخرجوا .

ثم ألم تقرأ قوله تعالى : ﴿ وَلا تَقُولَنَّ لِشَيْءٍ إِنِّي فَاعِلٌ ذَلِكَ غَدًا (٢٣) إِلاَّ أَن يَشَاءَ اللَّهُ وَاذْكُر رَّبَّكَ إِذَا نَسِيتَ ﴾ [الكهف: ٢٣ _ ٢٤] .

واقرأ قول موسى للخضر عليهما السلام : ﴿ قَالَ سَتَجِدُنِي إِن شَاءَ اللَّهُ صَابِرًا وَلا أَعْصِي لَكَ أَمْرًا ﴾ [الكهف: ٦٩] .

وقال تعالى : ﴿ وَإِذْ تَقُولُ لِلَّذِي أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَأَنْعَمْتَ عَلَيْهِ أَمْسِكْ عَلَيْكَ زَوْجَكَ وَاتَّقِ اللَّهَ ﴾ [الأحزاب: ٣٧] .

انظر إلى قوله تعالى : ﴿ إِلاَّ تَنصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ اللَّهُ إِذْ أَخْرَجَهُ الَّذِينَ كَفَرُوا ثَانِيَ اثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِي الْغَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَاحِبِهِ لا تَحْزَنْ إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا ﴾

[التوبة : ٤٠]

وانظر إلى قول نبينا محمد ﷺ وهو يذكِّر أبا بكر بقوله : « **يا أبا بكر ما ظنك باثنين الله ثالثهما** »[1] .

وانظر إلى مقولة أبي بكر لعمر لما جاءه وفي نفسه شيء من أمر الصلح يوم الحديبية قال أبو بكر : « إنه رسول الله وليس يعصي ربَّه وهو ناصره »[2] .

ومن ذلك ما أخرجه البخاري ومسلم[3] في حديث الإفك من حديث عائشة رضي الله عنها بعد أن تشهدَّ : « **أما بعد يا عائشة فإنه قد بلغني عنك كذا وكذا فإن كنت بريئة فسيبرؤك الله وإن كنت ألممت بذنب فاستغفري الله وتوبي إليه فإن العبد إذا اعترف بذنبه ثم تاب إلى الله تاب الله عليه . . .** » .

---

(١) البخاري حديث (٣٦٥٢) ومسلم (٢٠٠٩) .

(٢) البخاري (٣٧٣١ ، ٢٧٣٢) .

(٣) البخاري (حديث ٤٧٥٠) ومسلم (حديث ٢٧٧٠) .

وفيه أيضًا قول عائشة رضي الله عنها : إني والله لقد علمت لقد سمعتم هذا الحديث حتى استقر في أنفسكم وصدقتم به فلئن قلت لكم إني بريئة لا تصدقونني ولئن اعترفت لكم بأمر والله يعلم أني فيه بريئة لتصدقنني والله ما أجد لكم مثلاً إلا قول أبي يوسف ، قال : ﴿ **فَصَبْرٌ جَمِيلٌ وَاللَّهُ الْمُسْتَعَانُ عَلَىٰ مَا تَصِفُونَ** ﴾ [يوسف:١٨] .

واذكر قول يوسف عليه السلام قبل أن يُعبِّر الرؤيا ﴿ **قَالَ لا يَأْتِيكُمَا طَعَامٌ تُرْزَقَانِهِ إِلاَّ نَبَّأْتُكُمَا بِتَأْوِيلِهِ قَبْلَ أَن يَأْتِيَكُمَا ذَلِكُمَا مِمَّا عَلَّمَنِي رَبِّي** ﴾

[يوسف :٣٧]

وقول يعقوب عليه السلام : ﴿ **يَا بَنِيَّ اذْهَبُوا فَتَحَسَّسُوا مِن يُوسُفَ وَأَخِيهِ وَلا تَيْأَسُوا مِن رَّوْحِ اللَّهِ إِنَّهُ لا يَيْأَسُ مِن رَّوْحِ اللَّهِ إِلاَّ الْقَوْمُ الْكَافِرُونَ** ﴾

[يوسف:٨٧]

والأدلة في هذا الباب لا يأتي عليها الحصر وإنما أوردنا نماذج فقط فجدير بالعبد أن يُخلل جميع معاملاته بذكر الله .

* * *

وذكّر المعتدي وخوفه بالله

انظر إلى قول ابن آدم لأخيه : ﴿ لَئِن بَسَطتَ إِلَيَّ يَدَكَ لِتَقْتُلَنِي مَا أَنَا بِبَاسِطٍ يَدِيَ إِلَيْكَ لِأَقْتُلَكَ إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ رَبَّ الْعَالَمِينَ ﴾ [المائدة:٢٨] .

وكذلك قول مريم عليها السلام لمن ظنت أنه يريد الإعتداء عليها : ﴿قَالَتْ إِنِّي أَعُوذُ بِالرَّحْمَنِ مِنكَ إِن كُنتَ تَقِيًّا ﴾ [مريم :١٨] .

ومن هذا الباب قول موسى عليه السلام للسحرة : ﴿ قَالَ لَهُم مُّوسَىٰ وَيْلَكُمْ لَا تَفْتَرُوا عَلَى اللَّهِ كَذِبًا فَيُسْحِتَكُم بِعَذَابٍ وَقَدْ خَابَ مَنِ افْتَرَىٰ ﴾

[طه:٦١]

ومن ذلك ما أخرجه النسائي[١] وأحمد من طريق قابوس بن مخارق عن أبيه قال : جاء رجل إلى النبي ﷺ فقال الرجل يأتيني فيريد مالي ؟! قال : « ذكِّره بالله » قال فإن لم يذكر . . . الحديث .

وأخرج البخاري ومسلم[٢] من حديث جابر بن عبد الله رضي الله عنهما قال: « غزونا مع رسول الله ﷺ غزوة نجد ، فلما أدركته القائلة [٣] وهو في واد كثير العضاه[٤] فنزل تحت شجرة واستظلَّ بها وعلَّق سيفه ، فتفرَّق الناس في الشجر يستظلون . وبينا نحن كذلك إذ دعانا رسول الله ﷺ فجئنا . فإذا أعرابيٌ قاعد بين يديه فقال : إن هذا أتاني وأنا نائم ، فاخترط سيفي ،

---

(١) النسائي (٧ / ١١٣ ـ ١١٤) وأحمد (٥ / ٢٩٤ ـ ٢٩٥) وإسناده حسن .

(٢) البخاري (حديث ٤١٣٩) ومسلم (حديث ٨٤٣) .

(٣) القائلة أي وقت القيلولة ، وهو وسط النهار وشدة الحر .

(٤) واد كثير الشجر الذي به شوك كبير عظيم .

فاستيقظت وهو قائم على رأسي مخترط سيفي صلتًا[١] « قال : من يمنعك مني ؟ **قلت : الله** » فشامه[٢] ثم قعد، فهو هذا . قال : ولم يعاقبه رسول الله ﷺ » .

ومن ذلك ما أخرجه مسلم في صحيحه من حديث أبي مسعود البدري رضي الله عنه قال : كنتُ أضرب غلامًا لي بالسوط . فسمعت صوتًا من خلفي « **اعلم أبا مسعود** » فلم أفهم الصوت من الغضب . قال فلما دنا منِّي، إذا هو رسول الله ﷺ . فإذا هو يقول : « **اعلم أبا مسعود ! اعلم أبا مسعود !** » قال : فألقيت السوط من يدي . فقال : « **اعلم أبا مسعود ! أن الله أقدر عليك منك على هذا الغلام** » قال فقلتُ : لا أضرب مملوكا بعده أبدا .

وفي رواية لمسلم أيضًا : كنت أضرب غلامًا لي . فسمعت من خلفي صوتًا « **اعلم أبا مسعود أن الله أقدر عليك منك عليه** » فالتفت فإذا هو رسول الله ﷺ فقلت : يا رسول الله هو حر لوجه الله . فقال : « **أما لو لم تفعل للفحتك النار ، أو لمستك النار** » .

وفي رواية ثالثة عند مسلم[٣] أيضًا : عن أبي مسعود ؛ أنه كان يضرب غلامه فجعل يقول : أعوذ بالله . قال : فجعل يضربه فقال أعوذ برسول الله . فتركه . فقال رسول الله ﷺ : « **والله ! لله أقدر عليك منك عليه** » قال : فأعتقه .

(١) صلتًا أي بدون غمد (مجردًا عن غمده) .
(٢) شام السيف أي أدخله في غمده .
(٣) مسلم (حديث ١٦٥٩) .

وكذلك ذكرُ الخصوم بالله وبعذابه وبالتوبة إليه

فمن ذلك ما ورد عن رسول الله ﷺ من تذكير المتخاصمين ، ففي الصحيحين[١] من حديث أم سلمة رضي الله عنها قالت : قال رسول الله ﷺ : «**إنكم تختصمون إليَّ ولعل بعضكم أن يكون ألحن[٢] بحجته من بعض فأقضي له على نحو مما أسمع منه ، فمن قطعت له من حق أخيه شيئا فلا يأخذه . فإنما أقطع له به قطعة من النار** » .

ومن ذلك ما أخرجه البخاري[٣] من حديث ابن عباس رضي الله عنهما أن هلال بن أمية قذف امرأته فجاء فشهد[٤] والنبي ﷺ يقول : « **إن الله يعلم أن أحدكما كاذب فهل منكما تائب** » ؟ ثم قامت فشهدت .

ومن ذلك ما أخرجه البخاري [٥]ومسلم من حديث عائشة رضي الله عنها قالت: سمع رسول الله ﷺ صوت خصوم بالباب عالية أصواتهما وإذا أحدهما يستوضع الآخر ويسترفقه[٦] في شيء وهو يقول : والله ! لا أفعل فخرج رسول الله ﷺ عليهما فقال : « **أين المتألِّي على الله[٧] لا يفعل المعروف ؟** » قال : أنا يا رسول الله ! فله أي ذلك أحب .

---

(١) البخاري (حديث ٧١٨١) ومسلم (حديث ١٧١٣) .

(٢) ألحن أي أعلم بالحجة وأبلغ في الكلام .

(٣) البخاري (حديث ٥٣٠٧) .

(٤) شهد : أي شهد أربعة أيمان بالله إنه لمن الصادقين والخامسة أن لعنة الله عليه إن كان من الكاذبين .

(٥) مسلم (حديث ١٥٥٧) والبخاري (٢٧٠٥) .

(٦) يسترفقه أي يطلب منه الرفق .

(٧) المتألي : أي الحالف .

فليجعل العبد ذكر
الله عز وجل على لسانه على الدوام

* من احتاج إلى كلمة جزاك الله خيرًا فأعطها له .

* من احتاج إلى كلمة عفا الله عنك فقدمها له .

* من احتاج إلى التذكير بالله فذكِّره بالله .

* من احتاج إلى كلمة بارك الله فيك ، وبارك الله لك .

* إذا غضبت فقل : أعوذ بالله من الشيطان الرجيم .

* إذا دخلت البيت فسم الله عز وجل وسلِّم على أهلك .

* إذا أكلت فسم الله وإذا شربت فسم الله .

* إذا انتهيت من مطعمك ومشربك فقل : الحمد الله .

* قل إذا رأيت نعم الله عليك : ما شاء الله لاقوة إلا بالله .

* أكثر من قول الله المستعان .

* وسبِّح لله عند التعجب .

* وقل لا إله إلا الله عند الفزع .

* وكبِّر عند الأمر السار .

* وأكثر من قول : « حسبي الله ونعم الوكيل » إذا خِفت قومًا أو خوَّفت بقوم.

* وسل الله أن يعينك على ذكره وشكره وحسن عبادته .

*** وذكِّر الناس بمثل هذه الأحاديث :**

* والله في عون العبد ما كان العبد في عون أخيه[١] .

* ما تواضع أحد لله إلا رفعه[٢] .

* من لا يرحم الناس لا يرحمه الله[٣].

* إلى غير ذلك من الأحاديث التي يتخللها ذكر الله .

*** قل للشخص أيضًا :**

* أعطني مما أعطاك الله .

* مُن عليَّ مَنَّ الله عليك .

* ارحم يرحمك الله .

* علمني مما علمك الله .

* اغفر غفر الله لك .

* وسع علينا وسع الله عليك .

* تصدق إن الله يجزي المتصدقين .

* غفر الله لك لِمَ صنعت كذا وكذا ؟!

* عفا الله عنك لِمَ فعلت كذا ؟؟

---

(١) مسلم (حديث ٢٦٩٩) .

(٢) مسلم (حديث ٢٥٨٨) عن أبي هريرة رضي الله عنه عن رسول الله ﷺ قال : « ما نقصت صدقة من مال ، وما زاد الله عبدًا بعفو إلا عزًا وما تواضع أحد لله إلا رفعه الله » .

(٣) مسلم (حديث ٢٣١٩) من حديث جرير بن عبد الله رضي الله عنه .

* استر ستر الله عليك .

* اشفع شفَّع الله فيك نبيه محمد ﷺ .

إلى غير ذلك من الكلمات الطيبة التي ترطب اللسان وتطمئن القلب وتسكِّن الفؤاد وتهدئ من الروع ، فإليه يصعد الكلم الطيب والعمل الصالح يرفعه .

وقولوا للناس حسنا

هذا هو قول ربنا سبحانه وتعالى :

فإذا كان لابد من الكلام فليكن القول حسنًا جميلاً فهذا هو الأصل في التخاطب بين الناس ـ وهذه وصية الله سبحانه وتعالى لعباده ، قال سبحانه: **﴿وَقُل لِّعِبَادِي يَقُولُوا الَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ الشَّيْطَانَ يَنزَغُ بَيْنَهُمْ إِنَّ الشَّيْطَانَ كَانَ لِلإِنسَانِ عَدُوًّا مُّبِينًا﴾** [الإسراء:٥٣] .

وقال سبحانه : **﴿ وَلا تَسْتَوِي الْحَسَنَةُ وَلا السَّيِّئَةُ ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ (٣٤) وَمَا يُلَقَّاهَا إِلاَّ الَّذِينَ صَبَرُوا وَمَا يُلَقَّاهَا إِلاَّ ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ﴾** [فصلت :٣٤ ـ ٣٥] .

فالكلمة الطيبة الحسنة تحيل العدو إلى صديق حميم بإذن الله وتقلب الضغائن التي في القلوب إلى محبة ومودة وولاء !!! وتقطع على شياطين الإنس والجن وشاياتهم ووساوسهم وسعيهم في الأرض بالفساد !!

ثم إن الكلمة الطيبة صدقه[1] كما قال النبي ﷺ .

ثم إن الكلمة الطيبة تصعد إلى السماء فتفتح لها أبواب السماء وتقبل بإذن الله!!!

قال الله تبارك وتعالى : **﴿ إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ وَالْعَمَلُ الصَّالِحُ يَرْفَعُهُ ﴾** [فاطر: ١٠] .

---

(١) أخرجه البخاري (حديث ٢٩٨٩) ومسلم (حديث ١٠٠٩) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه مرفوعًا .

ثم إنها سبب في دخول الجنان ، قال عليه الصلاة والسلام : « **أفشوا السلام**» [(١)] .

ثم إن الكلمة الطيبة شعارٌ لقائلها ودليل على طيب قائلها ، والكلمة الخبيثة دليلٌ على خبث قائلها ثم هى شعارٌ له أيضًا ، قال الله تبارك وتعالى: ﴿ **الْخَبِيثَاتُ لِلْخَبِيثِينَ وَالْخَبِيثُونَ لِلْخَبِيثَاتِ وَالطَّيِّبَاتُ لِلطَّيِّبِينَ وَالطَّيِّبُونَ لِلطَّيِّبَاتِ أُولَٰئِكَ مُبَرَّءُونَ مِمَّا يَقُولُونَ لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ** ﴾ [النور : ٢٦] .

ثم إن الكلمة الطيبة تُتقى بها النار ، قال النبي ﷺ : « **اتقوا النار ولو بشق تمرة فإن لم تجدوا فبكلمة طيبة** »[(٢)] .

*** وانظر إلى هذا المثل المضروب للكلمة الطيبة :**

قال الله سبحانه : ﴿ **أَلَمْ تَرَ كَيْفَ ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِي السَّمَاءِ (٢٤) تُؤْتِي أُكُلَهَا كُلَّ حِينٍ بِإِذْنِ رَبِّهَا وَيَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَالَ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ (٢٥) وَمَثَلُ كَلِمَةٍ خَبِيثَةٍ كَشَجَرَةٍ خَبِيثَةٍ اجْتُثَّتْ مِن فَوْقِ الْأَرْضِ مَا لَهَا مِن قَرَارٍ** ﴾ [إبراهيم: ٢٤ ـ ٢٦] .

فصحيحٌ ما قاله كثيرٌ من المفسرين أن الكلمة الطيبة هى : «لا إله إلا الله» ولكن الآية الكريمة بعمومها تحوي كل كلمٍ طيبٍ ، فكل كلمٍ طيب داخل في هذه الآية الكريمة .

فكم من مُشكلةٍ قد حُلَّت بسبب كلمة طيبة !!

---

(١) أخرجه أحمد (٢ / ٤٩٣) بإسناد حسن لشواهده .

(٢) البخاري (حديث ٦٠٢٣) ومسلم (صـ ٧٠٤) من حديث عدى بن حاتم رضي الله عنه قال قال النبي ﷺ : « اتقوا النار .... الحديث » .

وكم من بليةٍ قد دُفعت بسبب كلمة طيبة !!

وكم من مشاحنات وعداوات قد رفعت بسبب كلمه طيبة ، وفي المقابل كم من فتن قد اشتعلت وكم من جرائم قد ارتكبت ونيران قد استعرت من جراء كلمةٍ خبيثة !

بل وكم من أرواح قد أُزهقت وأنفس قد قتلت وأُسر قد شردت بسبب كلمة خبيثة .

وصدق الله إذ يقول : ﴿ **وَلا تَسْتَوِي الْحَسَنَةُ وَلا السَّيِّئَةُ ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ** ﴾ [فصلت: ٣٤] .

فإذا قذفك شخص بمسبةٍ فقابله بعفو وصفح وإحسان .

وإذا جاءك نمام مفسد يخبرك بما يسوءك من مقالات إخوانك ، فاستغفر لإخوانك وقل لهذا النمام هم إخواني عفا الله عنهم ، وهم أصدقائي وخلاني !! قل له ، وإن صدرت من إخواني زلاتٌ في شأني وهفواتٌ ، فكم من يدٍ لهم عندي وكم من معروف قد صنعوه وقدموه إليَّ وكم من نُصحٍ قد أسدوه إليَّ ، فجزاهم ـ الله خيراً وعفا الله عنهم .

بمثل هذه الكلمات الطيبة تقطع على الوشاة وشايتهم وعلى مُريدي الشر والفساد شرهم وفسادهم .

أما إخوانك الذين بلغك عنهم السوء في شأنك ونالك منهم المكروه فبإذن الله، وإذا وصلتهم مقالتك الطيبة في شأنهم فسيعرفون لك قدرك ، وسيقدِّرون لك عفوك وصفحك فإذا الذي بينك وبينه عداوة كأنه وليٌ حميم.

ولتعلم أن إخوانك وأصدقاءك ، بل وعموم الناس تعتريهم أحوال ضيق

وشدة ،وسعادة ورخاء ، وإقبال للأنفس وإدبار لها ، وإنشراح صدور وتبرمٍ وضيق ، كل ذلك يعتري البشر وغيره كذلك يعتريهم .

قد يخرج لك صاحبك وهو في ضيق شديد وهموم وغموم ومشاكل واجهته داخل البيت فلا يقابلك على الوجه اللائق بك ، بل يقابلك وهو متبرم متضايق ، وقد تصدر منه ألفاظ لا تصدر منه وقت ارتياحه وانشراحه ، فلا تؤاخذه بما يصدر منه في هذه الحال ولا تنقل ما قاله لك وقت تعبه وإرهاقه ، بل اتركه حتى يستجم ويستريح وسيراجع نفسه بإذن الله وسيصلح من شأنه بتوفيق الله .

قد يخرج صاحب العمل إلى عماله وهو مبتلى بخسارة فيسمعوا منه ألفاظًا نابيةً حادة فجدير بهم آنذاك أن يصبروا عليه ويدعون له بتفريج كربته وفك عسرته .

فلتكن الكلمة الطيبة شعارك ، ولتجري الكلمة الطيبة دومًا على لسانك .

والله وحده المستعان والتوفيق منه الكريم المنان .

وليس المراد بالكلم الطيب ذلكم الكلم الذي فيه مجاملات للناس وتضييع الحقوق والإقرار على الباطل .

بل من لوازم الكلم الطيب أن يكون سديدًا موفقاً يُقَرُّ به الحق ويُدحضُ به الباطل ويبتغي به وجه الله سبحانه وتعالى .

فمثل هذه الكلمات السديدة الموفقة تكون سببًا في صلاح أعمال قائلها وسببًا في مغفرة ذنوبه ، ثم هي تبقى لهم في ذرياتهم كذلك .

قال الله سبحانه وتعالى : ﴿ **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلاً**

سَدِيداً ﴿٧٠﴾ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ﴾ [الأحزاب: ٧٠ ـ ٧١]

وقال سبحانه : ﴿ وَلْيَخْشَ الَّذِينَ لَوْ تَرَكُوا مِنْ خَلْفِهِمْ ذُرِّيَّةً ضِعَافًا خَافُوا عَلَيْهِمْ فَلْيَتَّقُوا اللَّهَ وَلْيَقُولُوا قَوْلاً سَدِيداً ﴾ [النساء: ٩] .

فالقول السديد يصلح الأعمال بإذن الله .

أما القول الأعوج المملوء بالمجاملات والمراءاة والمُذهب بالحقوق فإنه يفسد الأعمال ويورث الشحناء وينشر الشر والفساد .

وأحيانا تستعمل الكلمات اللاذعة الشديدة ، ولكنها بحسبها وبقدرها

فتتنزل في محلها ولا تتعداه وبقدرها ولا تتجاوزه ، فالأصل كما قدمنا في التخاطب مع المؤمنين بل ومع الناس أيضا هو الطيب من القول ، وكما قال تعالى : ﴿ **وَقُولُوا لِلنَّاسِ حُسْنًا** ﴾ [البقرة: ٨٣] .

ففى استعمالك للكلمات الشديدة اللاذعة كُن كالطبيب الذي يصف الدواء المرَّ للمريض ، أو يعطي المريض حقنة مؤلمة ، أو يقضي ببتر ساق المريض ، إنه في كل ذلك يسبب للمريض أذىً ، لكن هذا الأذى لدفع شرٍ هو أعظم ولدرء بلاءٍ ومفسدة هى أشد ثم بعد حلول الشفاء يقلع الطبيب عن الحقن ويمنع المريض من الدواء .

وكذلك أنت في كلماتك اللاذعة الشديدة ، لا ينبغي أن تكون هذه الكلمات لك ديدنا ودينًا إنما يتجه إليها عند الضرورات الملحه ، فإذا انتهت الضرورة الملجئة إليها عدت سريعًا عودًا حميدًا إلى أصلك بل أصولك من طيب الكلام وحسن الخطاب .

أما استعمال الكلمات الشديدة اللاذعة فهذه بعض أوجه استعمالها وإباحتها ومواطن تنزيلها وإجازتها .

فها هو يوسف يشتد في مقولته لإخوانه بعد قوله لهم : ﴿ **ائْتُونِي بِأَخٍ لَّكُم مِّنْ أَبِيكُمْ أَلا تَرَوْنَ أَنِّي أُوفِي الْكَيْلَ وَأَنَا خَيْرُ الْمُنزِلِينَ** ﴾ [يوسف: ٥٩] .

يعقب ذلك بقوله لهم : ﴿ **فَإِن لَّمْ تَأْتُونِي بِهِ فَلا كَيْلَ لَكُمْ عِندِي وَلا تَقْرَبُونِ** ﴾ [يوسف: ٦٠] .

وسليمان عليه السلام يقول : ﴿ **مَا لِيَ لا أَرَى الْهُدْهُدَ أَمْ كَانَ مِنَ الْغَائِبِينَ(٢٠) لأُعَذِّبَنَّهُ عَذَابًا شَدِيدًا أَوْ لأَذْبَحَنَّهُ أَوْ لَيَأْتِيَنِّي بِسُلْطَانٍ مُّبِينٍ** ﴾

[النمل : ٢٠ ـ ٢١]

ومن ذلك أيضا قول النبي ﷺ : «[١]**من تعزى بعزاء الجاهليه فأعِضُّوه بهن أبيه** » .

ومن ذلك قوله عليه الصلاة والسلام لابن اللتبية ـ لما أتاه بمال وقال : هذا لكم وهذا أهدى إليَّ : « **هلا جلست في بيت أبيك أو بيت أمك حتى تأتيك هديتك ؟!** »[٢] .

ومن ذلك قول أبى بكر الصديق لعروة بن مسعود الثقفي في صلح الحديبية : « **اذهب فامصص بظر اللات** »[٣] .

---

(١) أخرجه أحمد (٥ / ١٣٦) والنسائي في « عمل اليوم والليلة » (ص ٥٤٠) بإسناد صحيح عن الحسن عن عتي بن خمرة عن أُبي بن كعب عن النبي ﷺ قال : « من رأيتموه يتعزى بعزاء الجاهلية فأعضوه ولا تكنوا » . قلت : ومعنى التعزي بعزاء الجاهلية المناداة والاستغاثة بالنعرات الجاهلية كقول القائل يا للمهاجرين ويا للأنصار ، ويا قبيلة فلان وفلان ومعنى فأعضوه بهنِ أبيه ، أما الهن فهو عضو الرجل وأداة الجماع منه ومعنى فأعضوه : أي قولوا له: عضنَّ هن أبيك .

(٢) صحيح وقد تقدم وهو في الصحيحين ، وانظر كذلك مسلم (ص ١٤٦٤) .

(٣) أخرجه البخاري (٢٧٣١ ، ٢٧٣٢) ، وقال الحافظ : والبظر قطعة تبقى بعد الختان في فرج المرأة ، واللات اسم لأحد الأصنام التي كانت قريش وثقيف يعبدونها ، وكانت عادة العرب الشتم بذلك لكن بلفظ الأم فأراد أبو بكر المبالغة في سب عروة بإقامة من كان يعبد مقام أمه وحمله على ذلك ما أغضبه به من نسبة المسلمين إلى الفرار، وفيه جواز النطق بما يستبشع من الألفاظ لإرادة زجر من بدا منه ما يستحق به ذلك .

وقول حمزة رضي الله عنه لسباع : « **يا سباع يا ابن أم أنمار مقطعة البظور أتحاد الله ورسوله** »[(١)].

ومن ذلك قول موسى ﷺ : ﴿ **وَإِنِّي لَأَظُنُّكَ يَا فِرْعَوْنُ مَثْبُورًا** ﴾ [الإسراء: ١٠٢]

ولكنها كما أسلفنا تكون بقدر ولا يتوسع فيها إلا بحسب الحاجة الماسة الملحة الملجئة إليها ، والأصل هو حسن الخلق والأصل هو الكلم الطيب ، وبالله التوفيق ومنة نستمد العون والسداد .

وفي صحيح مسلم[(٢)] أن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : « **لا تمنعوا نساءكم المساجد إذا استاذنكم إليها** » قال فقال بلال بن عبد الله : والله لنمنعهن ، قال فأقبل عليه عبد الله فسبه سبًا سيئاً وقال : أخبرك عن رسول الله ﷺ وتقول والله لنمنعهن ؟!!!

---

(١) أخرجه البخاري (٤٠٧٢) من حديث وحشي بن حرب قال : « لما قال له قائل : ألا تخبرنا بقتل حمزة ؟ قال : نعم ، إن حمزة قتل طعيمة بن عدي بن الخيار ببدر ، فقال لي مولاي جبير بن مطعم : إن قتلت حمزة بعمي فأنت حر ، قال : فلما أن خرج الناس عام عينين ، وعينين جبل بحيال أحد ، بينه وبينه واد خرجت مع الناس إلى القتال فلما اصطفوا للقتال خرج سباع فقال : هل من مبارز ؟ قال : فخرج إليه حمزة ابن عبد المطلب فقال : يا سباع يا ابن أم أنمار مقطعة البظور أتحاد الله ورسوله ﷺ ؟ قال: ثم شد عليه فكان كأمس الذاهب . . » الحديث .

(٢) مسلم (صـ ٣٢٧) .

بلسان عربي مبين

وهكذا ينبغي أن نكون عند تخاطبنا مع الناس ، نغلب على ألسنتنا وخطابنا معهم لغة العرب ، التي هي لغة القرآن الكريم خير كتاب أنزل على أفضل رسول، قال الله سبحانه : ﴿ بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُّبِينٍ ﴾ [الشعراء: ١٩٥] .

وقال تعالى: ﴿ إِنَّا أَنزَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لَّعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴾ [يوسف: ٢] .

وقال سبحانه : ﴿ وَكَذَلِكَ أَنزَلْنَاهُ حُكْمًا عَرَبِيًّا ﴾ [الرعد: ٣٧] .

وقال سبحانه ﴿ وَكَذَلِكَ أَنزَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا ﴾ [طه: ١١٣] .

وقال سبحانه ﴿ قُرْآنًا عَرَبِيًّا غَيْرَ ذِي عِوَجٍ لَّعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ ﴾ [الزمر: ٢٨] .

وقال عز وجل : ﴿ وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ قُرْآنًا عَرَبِيًّا ﴾ [الشورى: ٧] .

وقال عز وجل : ﴿ إِنَّا جَعَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لَّعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴾ [الزخرف: ٣]

وقال سبحانه : ﴿ وَهَذَا كِتَابٌ مُّصَدِّقٌ لِّسَانًا عَرَبِيًّا ﴾ [الأحقاف: ١٢] .

فهل يليق بنا بعد هذه النصوص أن نغلّب لغةً على لغة الكتاب العزيز هل يليق بمسلم غيور على كتاب ربه أن يستعمل كلمة (ماما) و (بابا) مكان أبي ، وأمي، وأبتاه ، وأماه .

وهل قال الخليل يا بابا إني قد جاءني من العلم ، أم أنه قال : ﴿ يَا أَبَتِ إِنِّي قَدْ جَاءَنِي مِنَ الْعِلْمِ مَا لَمْ يَأْتِكَ ﴾ [مريم: ٤٣] .

فكيف نغلِّب لغة الأوربيين الكفار على لغة الإسلام والمسلمين ؛ أن النبي ﷺ لم يرض أن تُغلَّب لغة الأعراب على لغة أهل المدينة وقد أوردت في كتابي فقه تربية الأبناء بابًا مختصرًا في ذلك أذكِّر ببعضه ففيه أن النبي ﷺ

قال: « **لا تغلبنكم الأعراب على اسم صلاتكم** » .

إنها كلمة قالها رسول الله ﷺ يؤخذ منها أدب وفقه لإصلاح ألسنتنا .

إنها كلمة تنم عن معاني أصيلة في التربية .

أما مناسبتها ، فكما لا يخفى أن صلاة العشاء لها اسمان : أحدهما وأشهرهما (العشاء) كما قال الله سبحانه : ﴿ **وَمِنْ بَعْدِ صَلاةِ الْعِشَاءِ** ﴾ [النور:٥٨]

والآخر هو العتمة كما قال رسول الله ﷺ : « **ولو يعلمون ما في العتمة والصبح لأتوهما ولو حبواً** »[1] .

فلصلاة العشاء إذن اسمان « العشاء » و « العتمة » .

ولكن الاسم الأكثر استعمالاً والأحب إلى رسول الله ﷺ هو العشاء ، وهو الذي جاء في كتاب الله :

أما « العتمة » فهي لغة الأعراب ، وإن كان النبي ﷺ تكلَّم بها أحيانًا ، بل وذكرها في حديث ، لكنه لم يحب أن تغلَّب هذه اللغة على اللغة الأصح والأفضل والأشهر في أهل المدينة فحينئذ قال عليه الصلاة والسلام لأصحابه : « **لا تغلبنكم الأعراب على اسم صلاتكم ألا إنها العشاء ، وهم يعتمون بالإبل** »[2] .

---

(١) البخاري (حديث ٦١٥) ومسلم (حديث ٤٣٧) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه مرفوعًا.

(٢) مسلم (حديث ٦٤٤) من حديث ابن عمر رضي الله عنه مرفوعًا . وقوله : « وهم يعتمون بالإبل » أي يدخلون في العتمة ، وهي ظلمة الليل . بالإبل أى بسبب الإبل وحلبها .

فالذي ينبغي أن يسود ويعلو وينتشر هي تلك الكلمة التي جاءت في كتاب الله، والتي هي لغة قريش وأهل المدينة وكذلك فليكن الأمر في سائر الكلمات وفي سائر الألفاظ .

أما ما هو المستفاد من هذه الكلمة في بحثنا ها هنا ؟

المستفاد في بحثنا في هذا كثير فإذا كان النبي ﷺ لم يحب أن تغلب لغة الأعراب وهم عرب على لغة قريش وأهل المدينة فهل يحب رسول الله ﷺ أن تغلب لغة الفرنسيين والانجليز على لغة المسلمين ؟

هل يحب أن تُغلَّب (بابا) و (ماما) على (أبي) و (أمي) و (أبت) و (أماه) و (أمتاه) ؟!!

هل يحب أن تغلَّب (أُنكل) على (عمي) و (خالي) ؟!!

أو تغلب (تانت) على (عمتي) و (خالتي) ؟!!

هل يحب أن تسود وتطغى هذه الكلمات على لغة القرآن وعلى لغة المسلمين؟!!

إن الخليل إبراهيم عليه السلام يقول لأبيه : ﴿ **يَا أَبَتِ إِنِّي قَدْ جَاءَنِي مِنَ الْعِلْمِ مَا لَمْ يَأْتِكَ** ﴾ [مريم: ٤٣] .

﴿ **يَا أَبَتِ لا تَعْبُدِ الشَّيْطَانَ إِنَّ الشَّيْطَانَ كَانَ لِلرَّحْمَنِ عَصِيًّا** ﴾ [مريم: ٤٤]

ويقول : ﴿ **وَاغْفِرْ لأَبِي إِنَّهُ كَانَ مِنَ الضَّالِّينَ** ﴾ [الشعراء: ٨٦] .

ويوسف يقول : ﴿ **يَا أَبَتِ إِنِّي رَأَيْتُ أَحَدَ عَشَرَ كَوْكَبًا وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ رَأَيْتُهُمْ لِي سَاجِدِينَ** ﴾ [يوسف: ٤] .

ويقول : ﴿ يَا أَبَتِ هَذَا تَأْوِيلُ رُءْيَايَ ﴾ [يوسف: ١٠٠] .

ويقول الرسول ﷺ : « استأذنت ربي أن أزور قبر أمي » .

فهل يليق أن تقول : واغفر (لبابا) ؟! أو استأذنت ربي أن أزور قبر (ماما)؟! والرسول يقول لأبي طالب يا عم قل لا إله إلا الله ، فهل يليق أن يقال (يا أُنكل) قل لا إله إلا الله ؟!!

أظن ، بل أوقن أن هذا لا يليق .

وللأسف فمن يتقلد هذه الألفاظ الآن (أبي وأمي وأبتاه وأمتاه وأختاه) يُعدُّ في هذا الزمان غريبا ، ومن حاز المناصب في الدنيا يتفنن في استبدال (أبي وأمي و . . .) بألفاظ جديده (بابا ـ ماما) !!

فلينتبه الآباء لمثل هذه الألفاظ ، وليُحي الآباء والأمهات لغة القرآن ولغة النبي ﷺ .

وكذلك فلتكثر من الألفاظ العربية التي كان رسول الله ﷺ يكثر من استعمالها ككلمة أبشر ، ومرحبًا ، وأبي وأمي ونحو ذلك من الألفاظ .

وابتعد قدر الإمكان عن الألفاظ الأجنبية الدخيلة ككلمة (أوكي) وتانت، أُنكل . . و (أفندم) و (أبلة) ونحو هذه الكلمات .

ويطيب لي في هذا المقام أن أورد كلمة للأستاذ الدكتور فتحي جمعه[١] قال حفظه الله :

---

(١) الأستاذ الدكتور فتحي جمعة هو أستاذ العلوم اللغوية بكلية دار العلوم جامعة القاهرة وخبير بمجمع اللغة العربية ، ومن ذوي الخلق الحسن ، ومن الدعاة إلى الله على بصيرة بمدينة بلقاس.

العربية لغة الإسلام

تلك حقيقة ثابتة راسخة ، يدركها كل ذي بَصَر بوقائع التاريخ ، منذ ظهر الإسلام ، ونزل كتابه العظيم باللسان العربي المبين !!

لقد خلعت اللغة العربية رداء « المحلية » وفارقت انتماءها القومي والعنصري، إذ كانت تقبع خلف الحدود الضيقة لشبه الجزيرة العربية ـ فارقت هذا وصارت لسانًا عامًا للمسلمين أينما يكونوا ومتى يكونوا ! فكان الإسلام سبيلها إلى الناس، كما كانت ـ بحق ـ سبيل الناس إليه به عرفوها ، وبها عرفوه !!

ومن أجل ذلك كان حقًا على المسلمين مهما كانت أصولهم أو أجناسهم ـ أن يُبوِّئوا لغة القرآن « مبوأ صدق » ، فينزلوها في مكانتها اللائقة بها ، من حيث هي لغة القرآن ولسان الإسلام ، فلا يقدّموا عليها لغة أخرى في أي مجال من المجالات التي تحتاج اللغة أو تعتمد عليها .

ذلك أمر يبلغ في رأينا مبلغ الفريضة ، لأن تقريره ليس اجتهادًا منا ، أو دعوى يدعيها أمثالنا حبًا للعربية أو حماسة لها واعتزازًا بها ، مع أن الحب والحماسة والإعتزاز ـ لبعض حقّ هذه اللغة علينا وعلى الأمة جميعًا .

وإنما يرجع الأمر هنا إلى آيات تتلى في كتاب الله تعالى ما دامت السموات والأرض ، وإنها كلسان صدق ينطق بالحق ، بيانًا لأن العربية ـ لغة القرآن ـ هي اللغة التي اجتباها ربنا تبارك وتعالى ، واصطفاها على لغات العالمين !!

قال تعالى في مفتتح سورة يوسف : ﴿ إِنَّا أَنزَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا ﴾

[يوسف: ٣]

وقال تعالى : ﴿ لِّسَانُ الَّذِي يُلْحِدُونَ إِلَيْهِ أَعْجَمِيٌّ وَهَذَا لِسَانٌ عَرَبِيٌّ مُّبِينٌ﴾ [النحل:١٠٣]

وقال تعالى : ﴿ وَكَذَلِكَ أَنزَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا ﴾ [طه:١١٣] .

وقال تعالى : ﴿ نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الأَمِينُ (١٩٣) عَلَىٰ قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ الْمُنذِرِينَ (١٩٤) بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُّبِينٍ ﴾ [الشعراء:١٩٣ ـ ١٩٥] .

وقال تعالى : ﴿ قُرْآنًا عَرَبِيًّا غَيْرَ ذِي عِوَجٍ ﴾ [الزمر:٢٨] .

وقال تعالى : ﴿ وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ قُرْآنًا عَرَبِيًّا ﴾ [الشورى :] .

وقال تعالى : ﴿ إِنَّا جَعَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا ﴾ [الزخرف :٣] .

هذه الآيات البينات العظيمات ، تدل ـ في رأينا ـ على أمرين ظاهرين :

أحدهما : أن العربية هي اللسان المختار للقرآن .

والآخر : أن ذلك الاختيار من عند الله تعالى ، إنه وحيٌ يوحى قرآنًا يتلى إلى اخر الزمان .

ومعنى ذلك أنها لغة الإسلام ولسانه المبين الذي ينبغي أن يكون لسانًا عامًا لجميع المسلمين !

فإذا تقررت هذه الحقيقة ـ وهي ثابتة لا تحتمل مراءً ولا جدلاً ـ فلن يستطيع المرجفون الذين في قلوبهم مرض أن يردّوا شأن العربية ومنزلتها في الإسلام إلى تعصب النبي ﷺ ـ حاش لله ـ للغة قومه ولسان عشيرته أو يدَّعُوه على خلفائه الراشدين وأصحابه المهديين رضوان الله عليهم أجمعين .

فها هي آيات القرآن تقول : إن أمر الله تعالى ومشيئته جلت حكمته أن

يكون اللسان العربي المبين هو لسان القرآن فهو إذًا لسان الإسلام .

*** ضرورة العربية لوجود الأمة :**

من الحقائق الثابتة أن اللغة من أهمّ عوامل التوحد والتلاقي بين الأمم والشعوب .

ذلك ، والأمة الإسلامية اليوم أشد ما تكون حاجةً إلى جمع كلمتها وتوحيد صفوفها في مواجهة قوى عاتية باغية ، خبيثة ماكرة ، تتربص بها ، وتتظاهر عليها، وتسعى إلى محوها واستئصال شأفتها واجتثاث شجرتها ، فلا سبيل أمامها إلا أن تكون أمة واحدة متماسكه . ولن تكون لها هذه الوحدة كاملة قوية بغير وحدة اللسان .

ولكن لغات المسلمين كثيرة فعلى أيها تجتمع ؟!

إن الجواب بيّن لا يحتاج إلى بيان !

فأحقُّ اللغات بذلك الإجتماع هي اللغة التي لا يُعرفُ الإسلام حق المعرفة بغير معرفتها ، وهي اللغة التي نزل بها القرآن الكريم الذي شاءت إرادة ربّ العالمين أن يكون عربيًا يُتلى بالعربية في كل مكان إلى آخر الزمان.

وقد أدرك السلف الصالح العظيم من الأمة هذه الحقيقة فأقبل جميعهم على لغة القرآن حبًا ورغبًا ، دراسة وبحثًا وتأملاً . وتسابق عجم الأمة وعربها في ذلك الميدان ، وكان العجم في أحيان كثيرة من السابقين .

وحسبنا أن نتذكر أسماء سيبويه ، وأبي علىّ الفارسى ، والمبرد والفراء ، والكسائي ، وابن جني ،وعبد القادر الجرجاني هؤلاء أئمة الأئمة في علوم

العربية وكلهم من أصول أعجمية لا عربية .

ولكنهم نظروا إلى لغة الضاد لا على أنها لغة العرب ، بل على أنها لغة الإسلام والمسلمين أجمعين لأنها لغة القرآن الكريم بأمر الله رب العالمين .

وحين أدركوا هذه الحقيقة بنوا أمّةً عزيزة منيعة وأسسوا حضارة شامخة باسقة، امتدت لها السيادة الحضارية عدة قرون .

خصومة العربية من خصومة الإسلام .

لقد أدرك أعداء الإسلام وخصومه « الدائمون » أثر اللغة العربية في حماية «الوحدة الإسلامية » والمحافظة عليها ، كما أدركوا ما هو أعظم من ذلك وهو أثر هذه اللغة في ربط المسلمين بالإسلام ، وعيًا وفهمًا وإدراكًا وعلما وعملاً . أي أدركوا ما غاب عن المسلمين من ضرورة العربية لفهم الإسلام وتنفيذ أوامره ونشر دعوته الشاملة ، وذلك يعني قضاء عليهم ، ومطاردةً لهم في مواطن بغيهم وعتوّهم ولهذا توجهت جهودهم إلى اللغة العربية فيما سيطروا عليه ، أو تمكنوا منه في بلاد المسلمين سدّدوا إليها سهامهم ومطاعنهم ، وتعقبوها في كل مكان لها فيه وجود ، يريدون أن تزول أو تتوارى بالحجاب !!

وقد سار عملهم الأثيم بخبث ودهاء في طريقين متوازيين :

أولهما : بلاد العرب ، فأضعفوا « العربية » فيها ، وزحزحوها عن مكانتها . وأنزلوها من عرشها إذ زاحموها بلغاتهم بل قدموا لغاتهم في بعض الأحيان عليها. ثم أوقدوا نار الحرب على الفصحى ، فزعموا عليها العجز والقصور والاستغلاق على الأفهام . ودعوا إلى « العامية » ومكنوا

لها ، وساعدوا على نشرها ، وتوسيع رقعتها ونادوا بأن تكون هى لغة الحديث والكتابة والتأليف والخطابة والمحاضرة .

أما الطريق الآخر : فهو طريق البلاد الإسلامية غير العربية . وهناك طاردوا لغة القرآن ، وزينوا لها تيكم الأمم الإعجاب بلغات الإحتلال ، والإبتعاد عن اللغة التي هي عماد الرابطة الحقيقية ، وقاعدة الوحدة الكاملة بين المسلمين ولم يلبثوا إلا يسيرا ، فأُخرجت العربية من البلاد الإسلامية بلدًا في إثر بلد ، حتى انحصرت في دائرة الوطن العربي المستهدف لانتقاص الأطراف وتفريق الصفوف ، وهكذا « حُبست العربية » عند قوم لا يستمسكون بها ، ولا يغارون عليها ، ولا يهمهم أمرها .

الفصحى والعامية :

لا نستطيع في هذا الحيز الضيق أن نفصل القول في هذه القضية لأن ذلك يتطلب جهدًا ووقتًا لا يتسع له هنا مقام البيان[١]. وإنما نتحدث عن خطر الدعوة إلى العامية أو الإصرار على محادثة الناس بها في مجالات العلم والتعليم أو في مجالات الدعوة الإسلامية التي يحزنني فيها أن أجد طائفة كبيرة من جنودها يؤثرون العامية ويجعلونها وسيلتهم في الخطابة والمحاضرة وذلك خطأ عظيم لسببين اثنين .

١ ـ أن الدعوة إلى العامية في المجالات العلمية والتعليمية ترجع إلى

---

(١) ارجع في تفصيل ذلك إلى ما كتبناه في كتابنا : « اللغة الباسلة » ولمزيد ارجع إلى الدراسة القيمة التي كتبتها الدكتورة نفوسة زكريا في كتابها « الدعوة إلى العامية في مصر» .

بداية عصر الاحتلال[١] . وكان الدعاة الأولون إلى العامية في بلادنا من أهل الرأى والفكر الذين استقدمتهم قوى ليكونوا مستشارين في غرس قواعد الاحتلال الفكري والثقافي الذي يدوم لهم بعد زوال الاحتلال السياسي والعسكري .

ومعنى هذا أن الحديث بالعامية في المجالات الجادّة خدمة جليلة لقوى الاحتلال ، تنفذ خططهم ، تحقق أغراضهم ، وتوصلهم إلى مآربهم وأهدافهم البعيدة في استمرار السيطرة وامتداد النفوذ .

٢ ـ أن الحديث بالعامية يؤدي إلى نتيجتين خطيرتين ، تؤثران في البناء الثقافي للأمة تأثيرًا سيئًا غير محمود .

أولاهما : إهمال التراث وازدراؤه لدى العامة وجماهير الأمة إذ يصير حينئذ رُكامًا من المعمّيات والطلاسم لا سبيل إلى معرفتها فضلا عن فهمها وإدراك ما فيها وفي ذلك ما فيه من إضعاف « الشخصية » العامة للأمة ودفعها بقوة إلى منحدرات التبعية « والإنمحاق » .

والنتيجة الأخرى : عدم فهم القران وذلك أخطر وأفدح ما يؤدي إليه الحديث بالعامية ولكنّ قومي لا يعلمون .

لأن تدبر القرآن وفهمه فريضة عامة على المسلمين ، كلٌّ بقدر ما

(١) نحن نؤثر دائمًا في هذا المقام كلمة الاحتلال ونرفض كلمة الاستعمار مع شيوع الثابتة وشهرتها، لأن الاستعمار معنىً جميل وعمل كريم ولذلك نسب إلى الحق تبارك وتعالى في قوله عز وجل : ﴿ هُوَ أَنشَأَكُم مِّنَ الأَرْضِ وَاسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا ﴾ [هود : ٦١] .
ومن غير ذلك أن عمل أولئك الطغاة البغاة على الطرف المضاد لذلك المعنى العظيم فهم محتلون للأرض ، مغتصبون للخير ، قاهرون للناس .

يستطيع، ولن يتحقق هذا التدبر بغير معرفة اللغة التي نزل بها القرآن إلى الحدّ الذي يؤدي إلى الفهم ويعين عليه .

وكل حديث بالعامية يغلق من منافذ الفصحى ، ويضيق من سبلها بقدر ما يفتح للأخرى ويوسع أمامها .

إننا في حاجة دينية وثقافية إلى التزام الفصحى وإذاعتها ونشر الوعي بها بين جموع العرب .

أولاً : لنسترد شيئًا من وحدة لا غنى عنها ولا قوة لنا بدونها .

وثانيا : لينصح فهمنا للإسلام والقرآن .

ومن أجل ذلك أوجه ندائي لإخواننا جنود الدعوة إلى الله أن يدركوا خطر المسألة وفداحة النتيجة إذا التزموا العامية وأصروا عليها ، لأنهم بذلك يخدمون أعدائهم ويحققون غايتهم من حيث لا يشعرون .

ومن جهة أخرى يشاركون في وضع الحواجز والسدد أمام الفهم الواعي للقرآن وتراث الإسلام وما أظن أحدًا منهم - وكلهم نحسبه على الخير - يقبل أن يكون عَونًا لأعداء الإسلام أو أن لا يؤدي واجبه في نشر الوعي بلغة القرآن لأنها الطريق القويم إلى فهم الإسلام .

وإني لأربأ بذوي الفضل منهم ، أن تزدهيه دعوى الإفهام ، والتأثير فيرفع شعار العاميه مع الرافعين ، أو أن يبتغي توسيع رقعة المخاطبة ولو على حساب الغايات النبيلة والأهداف السامية للعمل في ميدان الدعوة الإسلامية وليس من الصواب ، ولا من منهج الرشاد أن يقال : إن « العامية » ضرورة لازمة لمخاطبة الناس على قدر عقولهم ؛ لأن المخاطبة على قدر العقول ، لا

تعني تبذُّل اللغة ، أو هبوط الكلام ، وانحرافه عن سنن الفصحى . وإنما تعني الابتعاد عن تعقيد الفكرة ، والتقعُّر في اللغة ، أى تعمد اختيار الصعب من التركيب والغريب الحوشي من الكلام .

أما الجنوح إلى العاميه بدعوى « إفهام العوام » فإن لم يكن مداراة للعجز عن الفصحى ، وقِصَرِ الباع في استعمالها ، فهو ادعاء يظلم الفصحى والعوامَّ في وقت معًا !!

يظلم الفصحى بأنها غير مفهومة ووالله إنها لمفهومة !!

ويظلم العوام بأنهم لا يفهمون وتالله إنهم ليفهمون !!

وإلا فكيف يخشعون للقرآن ، ويتأثرون ببالغ الموعظة وجميل البيان .

وبعد : ، فتلك كلمة ، ما ابتغيت بها إلا تنبيهًا على الارتباط الوثيق بين قضية الفصحى ، وقضية الإسلام ووحدة المسلمين .

« وما أريد أن أخالفكم إلى ما أنهاكم عنه . إن أريد إلا الإصلاح ما استطعت . وما توفيقي إلا بالله . عليه توكلت وإليه أنيب .

التواضع وعدم التعالى على الناس في الخطاب

فكن متواضعًا خافضًا للجناح عند خطابك مع الناس .

قال تعالى : ﴿ قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَىٰ كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلاَّ نَعْبُدَ إِلاَّ اللَّهَ وَلا نُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا وَلا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِّن دُونِ اللَّهِ ﴾

[آل عمران: ٦٤]

وقد كتب النبي صلى الله عليه وسلم بذلك إلى هرقل .

وانظر إلى قول الرسل عليهم الصلاة والسلام لأقوامهم : ﴿ إِن نَّحْنُ إِلاَّ بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَمُنُّ عَلَىٰ مَن يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَمَا كَانَ لَنَا أَن نَّأْتِيَكُم بِسُلْطَانٍ إِلاَّ بِإِذْنِ اللَّهِ ﴾ [إبراهيم: ١١] .

ويقول يوسف عليه السلام : ﴿ لا يَأْتِيكُمَا طَعَامٌ تُرْزَقَانِهِ إِلاَّ نَبَّأْتُكُمَا بِتَأْوِيلِهِ قَبْلَ أَن يَأْتِيَكُمَا ذَلِكُمَا مِمَّا عَلَّمَنِي رَبِّي ﴾ [يوسف: ٣٧] .

فانظر إلى يوسف عليه السلام كيف يرد العلم الذي يحمله إلى الله سبحانه وتعالى ؟!!!

*** وها هي طائفة من أساليب الخطاب التي تحمل طابع التواضع غاية التواضع**

ها هو نبينا محمد صلى الله عليه وآله وسلم يقول في رسالته لهرقل : **«بسم الله الرحمن الرحيم من محمد عبد الله ورسوله إلى هرقل عظيم الروم»**(١)

---

(١) أخرجه البخاري (حديث ٧) ومسلم (١٧٧٣) .

وفي ثنايا الرسالة :

﴿ قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَىٰ كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا اللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِّن دُونِ اللَّهِ ﴾

[آل عمران: ٦٤]

وسليمان عليه السلام كذلك يرسل رسالته فيقول فيها :

﴿ إِنَّهُ مِن سُلَيْمَانَ وَإِنَّهُ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ ۝٣٠ أَلَّا تَعْلُوا عَلَيَّ وَأْتُونِي مُسْلِمِينَ ﴾ [النمل : ٣٠ ـ ٣١] .

فمن ثمَّ وصفته ملكة سبأ بقولها : ﴿ إِنِّي أُلْقِيَ إِلَيَّ كِتَابٌ كَرِيمٌ ﴾

[النمل: ٢٩]

فحقًا إنه كتاب كريم !!!

فالزم التواضع في الخطاب مع الناس ولا تتكلم معهم بطريقة المتعالي المستكبر، فقد قال رسول الله ﷺ ـ فيما أخرجه مسلم(١) في صحيحه من حديث عياض بن حمار المجاشعي رضي الله عنه ـ . . « **وإن الله أوحى إليَّ أن تواضعوا حتى لا يفخر أحدٌ على أحدٍ ولا يبغي أحدٌ على أحد** » .

وقال ﷺ : « . . **وما تواضع أحدٌ لله إلا رفعه الله** »(٢) .

* * *

(١) مسلم (٢٨٦٥) صـ ٢١٩٩ .

(٢) أخرجه مسلم (حديث ٢٥٨٨) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه عن رسول الله ﷺ قال : « **ما نقصت صدقة من مال ، وما زاد الله عبدًا بعفو إلا عزًا وما تواضع أحدٌ لله إلا رفعه الله** » .

طلاقة الوجه وانبساطه عند الخطاب

وعليك بطلاقة الوجه وانبساطه لإخوانك أثناء حديثك معهم . قال لقمان لولده: ﴿ وَلا تُصَعِّرْ خَدَّكَ لِلنَّاسِ ﴾ [لقمان :١٨] .

وقال النبي ﷺ : « **لا تحقرن من المعروف شيئا ولو أن تلق أخاك بوجه طلق** »(١) ، أخرجه مسلم .

وفي رواية عند أحمد من حديث أبي جرى الهجيمي : « ولا تزهدن في المعروف مالك ولو أن تلق أخاك وأنت منبسط إليه وجهك »(٢) .

وجرير البجلي يقول : « ما رآني النبي ﷺ إلا تبسم في وجهي »(٣) .

وذم الله تعالى المستكبر ثاني عطفه بقوله تعالى : ﴿ وَمِنَ النَّاسِ مَن يُجَادِلُ فِي اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَلا هُدًى وَلا كِتَابٍ مُّنِيرٍ ۝ ثَانِيَ عِطْفِهِ (٤) لِيُضِلَّ عَن سَبِيلِ اللَّهِ لَهُ فِي الدُّنْيَا خِزْيٌ وَنُذِيقُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَذَابَ الْحَرِيقِ ۝ ذَلِكَ بِمَا قَدَّمَتْ يَدَاكَ وَأَنَّ اللَّهَ لَيْسَ بِظَلاَّمٍ لِّلْعَبِيدِ ﴾ [الحج:٨ ـ ١٠] .

*** ولا تزكي نفسك أمام الناس ولا تمنن بمعروفك عليهم إلا إذا دعت الضرورة والحاجة لذلك .**

فقد قال تعالى : ﴿ فَلا تُزَكُّوا أَنفُسَكُم ﴾ [النجم: ٣٢] .

---

(١) مسلم ـ(حديث ٢٦٢٦) من حديث أبي ذر رضي الله عنه مرفوعًا .

(٢) أحمد (٥ / ٦٣) بإسناد صحيح وله شواهد .

(٣) البخاري (حديث ٦٠٨٩) ومسلم (٢٤٧٥) .

(٤) معنى ثاني عطفه : أي لاوي عنقه تكبرًا ، ونحوه : قوله تعالى :﴿ وَلا تُصَعِّرْ خَدَّكَ لِلنَّاسِ﴾: أي لا تعرض بوجهك عمن تكلمه تكبرًا .

وقال تعالى : ﴿ **وَلا تَمْنُن تَسْتَكْثِرُ** ﴾ [المدثر:٦] .

وقال تعالى : ﴿ **أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يُزَكُّونَ أَنفُسَهُمْ بَلِ اللَّهُ يُزَكِّي مَن يَشَاءُ وَلا يُظْلَمُونَ فَتِيلاً** ﴾ [النساء:٤٩] .

وقال المقداد رضي الله عنه أمرنا النبي ﷺ « أن نحثي في وجوه المداحين التراب »[1] .

وقد أثنى رجلٌ على رجلٍ عند رسول الله ﷺ فقال النبي ﷺ : « **ويحك قطعت عنق صاحبك** » يقوله مرارًا ، إن كان أحدكم مادحًا لا محالة فليقل أحسب كذا وكذا إن كان يرى أنه كذلك ،والله حسيبه ولا يزكي على الله أحدًا[2] فثناؤك على نفسك يبغضك إلى الناس ، فالناس يكرهون من يتعالى عليهم ويتعاظم .

ولكن إذا دعت الحاجة لمثل ذلك كانت التزكية بقدر الحاجة ، قال يوسف عليه السلام : ﴿ **إِنِّي حَفِيظٌ عَلِيمٌ** ﴾ [يوسف:٥٥] .

فحقًا إنه حفيظ على الأموال في سنوات المجاعة والشدة ، عليمٌ بتصريف الأمور بإذن الله .

وقال النبي ﷺ للأنصار : « **ألم أجدكم ضلالاً فهداكم الله بي ، وكنتم**

---

(١) أخرج مسلم (مع النووي ١٨ / ١٢٧) من طريق أبي معمر قال : قام رجل يثني على أمير من الأمراء فجعل المقداد (يحثي عليه التراب ، وقال : أمرنا رسول الله ﷺ أن نحثي في وجوه المداحين التراب .

(٢) البخاري (مع الفتح ١٠ / ٤٧٦) ومسلم (مع النووي ١٨ / ١٢٥) وفي رواية « ولا أزكي علي الله أحدًا » .

متفرقين فألفكم الله بي ، وعالة فأغناكم الله بي »(١) .

وقال عثمان رضي الله عنه : « أنشدكم الله ، ولا أنشد إلا أصحاب النبي ﷺ : ألستم تعلمون أن رسول الله ﷺ قال : من حفر رومة فله الجنه فحفرتها ؟؛ ألستم تعلمون أنه قال : من جهَّز جيش العسرة فله الجنة فجهزته؟ قال فصدَّقوه بما قال(٢) .

*** ولك أن تنفي التهم عن نفسك بين يديَّ حديثك :**

قال هود عليه السلام : ﴿ **يَا قَوْمِ لا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِنْ أَجْرِيَ إِلاَّ عَلَى الَّذِي فَطَرَنِي أَفَلا تَعْقِلُونَ** ﴾ [هود:٥١] .

وبنحوه قال عدد من الأنبياء عليهم الصلاة والسلام . وقال شعيب عليه السلام لقومه : ﴿ **وَمَا أُرِيدُ أَنْ أُخَالِفَكُمْ إِلَىٰ مَا أَنْهَاكُمْ عَنْهُ** ﴾ [هود:٨٨] .

وقال نبينا محمد ﷺ : « **وأيم الله لو أن فاطمة بنت محمد سرقت لقطع محمد يدها** »(٣) .

وقال عروة بن مسعود الثقفي للمشركين لما أراد أن يشير عليهم بأمرٍ في شأن رسول الله ﷺ والصلح معه ، قال عروة : أى قوم ، ألستم بالوالد ؟ قالوا بلى قال : أولست بالولد ؟ قالوا : بلى . قال : فهل تتهموني ؟ قالوا لا قال : ألستم تعلمون أني استنفرت أهل عكاظ فلما بلَّحوا عليَّ جئتكم بأهلي وولدي ومن أطاعني ؟ قالوا : بلى . قال : فإن هذا قد عرض عليكم

---

(١) البخاري (حديث ٤٣٣٠) ومسلم (١٠٦١) .

(٢) البخاري (حديث ٢٧٧٨) معلقا ، وهو صحيح لشواهده .

(٣) البخاري (حديث ٦٧٨٨) ومسلم (مع النووي ١١ / ١٨٦) .

خطة رشدٍ اقبلوها ودعوني آته[١] . . . الحديث .

*** وهذا من أدب الجواب .**

أخرج البخاري[٢] من حديث عائشة رضي الله عنها قالت : جاءت هند بنت عتبة فقالت يا رسول الله : ما كان على ظهر الأرض من أهل خباءٍ أحبُّ إليَّ أن يذلُّوا من أهل خبائك ثم ما أصبح اليوم على ظهر الأرض أهل خباء أحبُّ إليَّ أن يعزُّوا من أهل خبائك ، قال : وأيضا والذي نفسي بيده : فقوله ﷺ (وأيضا) محتمل ، وليس بصريح ، واستعمال هذا المحتمل هنا أولى ووجه ذلك أنه كان في المشركين من هو أشد عداوةً لرسول الله ﷺ من هند ، و كذلك لم تكن هند بعد إسلامها أحب الناس إلى رسول الله ﷺ، ولا كان خباؤها أعز بيت على رسول الله ﷺ ولكنها قالت مقالة فاحتاجت أن تكافأ على مقالتها فقال رسول الله ﷺ « وأيضا » فقوله ﷺ « وأيضا » قد تفهم هند منه أن لها نفس المنزلة عنده ﷺ ، وإن لم يكن صريحا بذلك .

*** قال الحافظ ابن حجر[٣] رحمه الله تعالى :**

قوله : (قال وأيضا والذي نفسي بيده) قال ابن التين : فيه تصديق لها فيما ذكرته ، كأنه رأى أن المعنى : وأنا أيضا بالنسبة إليك مثل ذلك . وتعقب من جهة طرفي البغض والحب ، فقد كان في المشركين من كان أشد أذى للنبي ﷺ من هند وأهلها ، وكان في المسلمين بعد أن أسلمت من هو أحب إلى النبي ﷺ منها ومن أهلها ، فلا يمكن حمل الخبر على ظاهره .

(١) البخاري (٢٧٣١ ، ٢٧٣٢) .

(٢) البخاري (حديث ٣٨٢٥) .

(٣) فتح الباري (٧ / ١٧٥) .

وقال غيره : المعنى بقوله « وأيضا » ستزيدين في المحبة كلما تمكن الإيمان من قلبك وترجعين عن البغض المذكور حتى لا يبقى له أثر ، فأيضا خاص بما لا يتعلق بها لا أن المراد بها أني كنت في حقك كما ذكرت في البغض ثم صرت على خلافه في الحب بل ساكت عن ذلك ، ولا يعكر على هذا قوله في بعض الروايات « وأنا » إن ثبتت الرواية بذلك .

*** وانظر إلى الأدب في الرفض :**

فلما ذكر النبي ﷺ السبعين ألفًا الذين يدخلون الجنة بغير حساب فقال : هم الذين لا يتطيرون ولا يكتوون ولا يسترقون ، وعلى ربهم يتوكلون فقام عكاشة ابن محصن فقال : أمنهم أنا يا رسول الله (وفي رواية ادع الله أن يجعلني منهم يا رسول الله) قال نعم ، فقام آخر فقال : أمنهم أنا ؟ (وفي رواية ادع الله أن يجعلني منهم يا رسول الله). فقال : سبقك بها عكاشة[١] .

*** وهذا أيضا من الأدب :**

ففي الصحيح[٢] من حديث سهل بن سعد رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ أُتي بشراب فشرب منه ، وعن يمينه غلام وعن يساره الأشياخ فقال للغلام أتأذن لى أن أُعطي هؤلاء ؟ فقال الغلام ، والله يا رسول الله لا أوثر بنصيبي منك أحد .

فالغلام يكنُّ مودةً ومحبةً لرسول الله ﷺ ، واستأذنه رسول الله ﷺ لمناولة الأشياخ فلم يقل لا آذن ،و لكنه رفض بطريقة أثبتت المودة وعبَّرت

(١) البخاري (حديث ٥٧٥٢) .
(٢) البخاري (٥٦٢٠) .

عما في القلب من محبة تجاه رسول الله ﷺ ، فهو رفض يجلب المحبة .

*** الخطاب مع عموم الناس .**

وأحيانا يوجه الخطاب لعموم الناس حتى تعم الفائدة .

وأحيانا لا يُحبذ ولا يستحب الكلام مع عمومهم .

أخرج البخاري(١) من حديث مروان بن الحكم والمسور بن مخرمة : أن رسول الله ﷺ قام حين جاءه وفد هوازن مسلمين فسألوه أن يرد إليهم أموالهم وسبيهم ، فقال لهم رسول الله ﷺ : أحب الحديث إليَّ أصدقه فاختاروا إحدى الطائفتين : إما السبيَ وإما المال . فقد كنت استأنيت بهم - وقد كان رسول الله ﷺ انتظرهم بضع عشرة ليلة حين قفل من الطائف - فلما تبين لهم أن رسول الله ﷺ غير راد إليهم إلا إحدى الطائفتين قالوا نختار سبينا . فقام رسول الله ﷺ في المسلمين فأثنى على الله بما هوأهله ثم قال : أما بعد فإن إخوانكم هؤلاء قد جاءونا تائبين ، وإني رأيت أن أرد إليهم سبيهم ، فمن أحب منكم أن يطيب بذلك فليفعل ، ومن أحب منكم أن يكون على حظّه حتى نعطيه إياه من أوّل ما يفيء الله علينا فليفعل. فقال الناس : قد طيبنا ذلك لرسول الله ﷺ . فقال رسول الله ﷺ : إن لا ندري من أذن منكم في ذلك ممن لم يأذن ، فارجعوا حتى يرفع إلينا عرفاؤكم أمركم ، فرجع الناس ، فكلمهم عرفاؤهم ثم رجعوا إلى رسول الله ﷺ فأخبروه أنهم قد طيبوا وأذنوا » .

وبنحو ذلك نصح الصحابة عمر رضي الله عنه .

---

(١) البخاري (حديث ٢٣٠٧ ، ٢٣٠٨) .

أخرج البخاري[١] من حديث ابن عباس رضي الله عنهما قال : كنت أُقرِئُ رجالاً من المهاجرين منهم عبد الرحمن بن عوف ، فبينما أنا في منزله وهو عند عمر بن الخطاب في آخر حجة حجها ، إذ رجع إليَّ عبد الرحمن ابن عوف فقال : لو رأيت رجلاً أتى أمير المؤمنين اليوم فقال : يا أمير المؤمنين هل لك في فلان يقول : لو قد مات عمر لقد بايعت فلانًا ، فوالله ما كانت بيعة أبي بكر إلا فلتة فتمت ، فغضب عمر ثم قال : إني إن شاء الله لقائمٌ العشية في الناس فمحذرهم هؤلاء الذين يريدون أن يغصبوهم أمورهم . قال عبد الرحمن : فقلت يا أمير المؤمنين لا تفعل ، فإن الموسم يجمع رعاع الناس وغوغاءهم ، فإنهم هم الذين يغلبون على قربك حين تقوم في الناس ، وأنا أخشى أن تقوم فتقول مقالة يطيرها عنك كلُّ مطير ، وأن لا يعوها ، وأن لا يضعوها على مواضعها ، فأمهل حتى تقدم المدينة فإنها دار الهجرة والسنة ، فتخلص بأهل الفقه وأشراف الناس ، فتقول ما قلت متمكنا ، فيعي أهل العلم مقالتك ، ويضعونها على مواضعها ، فقال عمر : أما والله - إن شاء الله - لأقومن بذلك أول مقام أقومه بالمدينة .

* * *

(١) البخاري (حديث ٦٨٣٠) .

تقديم الأهم

وعند خطابك مع الناس قدِّم الأهم فابدأ به .

ألا ترى إلى قول شعيب عليه الصلاة والسلام إذ يقول لقومه : ﴿ **يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ وَلا تَنقُصُوا الْمِكْيَالَ وَالْمِيزَانَ . . .** ﴾

[هود : ٨٤]

فقدم الأمر بالعبادة على النهي عن البخس والتطفيف في المكاييل والموازين .

وكذلك قال رسول الله ﷺ لمعاذ : « **إنك تقدم على قوم من أهل الكتاب فليكن أول ما تدعوهم إلى أن يوحدوا الله ..** »[1] الحديث .

وأحيانا يحتاج الأهم من الكلام إلى تقدمة بأمور هي دونه في الأهمية فليفعل ذلك إن احتيج إليه وتكون هذه صور مستثناة .

ومن التوطئة للحديث والبداية بالأهم قول يوسف عليه السلام لما طُلب منه تأويل الرؤيا قال : ﴿ **قَالَ لا يَأْتِيكُمَا طَعَامٌ تُرْزَقَانِهِ إِلاَّ نَبَّأْتُكُمَا بِتَأْوِيلِهِ قَبْلَ أَن يَأْتِيَكُمَا ذَلِكُمَا مِمَّا عَلَّمَنِي رَبِّي ..** ﴾ الآيات إلى قوله : ﴿ **يَا صَاحِبَيِ السِّجْنِ أَأَرْبَابٌ مُّتَفَرِّقُونَ خَيْرٌ أَمِ اللَّهُ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ ..** ﴾ ثم عبَّر لهم رؤياهم بعد ذلك بقوله : ﴿ **أَمَّا أَحَدُكُمَا فَيَسْقِي رَبَّهُ خَمْرًا وَأَمَّا الآخَرُ فَيُصْلَبُ فَتَأْكُلُ الطَّيْرُ مِن رَّأْسِهِ . . .** ﴾ .

---

(١) أخرج البخاري (٧٣٧٢) ومسلم (حديث ١٩) من حديث ابن عباس رضي الله عنهما قال : « **لما بعث النبي ﷺ معاذاً إلى نحو أهل اليمن قال له إنك تقدم على قوم من أهل الكتاب فليكن أول ما تدعوهم إلى أن يوحدوا الله تعالى ، فإذا عرفوا ذلك فأخبرهم أن الله فرض عليهم خمس صلوات في يومهم وليلتهم فإذا صلوا فأخبرهم أن الله افترض عليهم زكاة أموالهم تؤخذ من غنيهم فترد على فقيرهم ، فإذا أقروا بذلك فخذ منهم وتوقّ كرائم أموال الناس** » .

تقدمات بين يدي الخطاب ، وتأهيل المخاطب لاستقبال الحديث

ففي كثير من الأحيان يكون من الأنسب تقديم بعض المقدمات قبل طرق الموضوعات تمهيدًا لبدء الحديث .

فمن ذلك أحيانا[١] **البدء بخطبة الحاجة** التي كان النبي ﷺ يبدأ بها أحيانا ويعلمها أصحابه .

أخرج أبو داود[٢] بإسناد صحيح لغيره من حديث ابن مسعود رضي الله عنه قال: علمنا رسول الله ﷺ خطبة الحاجة : « إن الحمد لله نستعينه ونستغفره ، ونعوذ به من شرور أنفسنا ، من يهده الله فلا مضل له ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله ، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله ﴿ **يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالاً كَثِيراً وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيباً** ﴾[٣] [النساء: ١] ﴿ **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ**

---

(١) وقلنا أحيانا لأن النبي ﷺ قد وردت عنه صيغ أُخر من المقدمات ، وأحيانا فقد يتكلم بلا مقدمات قال عليه الصلاة والسلام لرجل من أصحابه : « في قصة الواهبة » زوجتكها بما معك من القرآن ولم يقدم خطبة الحاجة بين يدي الحديث صلوات الله وسلامه عليه .

(٢) أبو داود (حديث ٢١١٨) والترمذي (مع التحفة ٤ / ٢٣٧) والنسائي (٦ / ٨٩) وأحمد (١ / ٣٩٣) وغيرهم .

(٣) الموجود في سنن أبي داود ﴿ وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيباً﴾ والصواب ما أثبتناه .

هذا وقد قال ابن قدامة في المغني : والخطبة غير واجبة عند أي أحد من أهل العلم علمناه إلا داود فإنه أوجبها لما ذكرناه .

=

تُقَاته وَلا تَمُوتُنَّ إِلاَّ وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴾ [آل عمران: ١٠٢] . ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلاً سَدِيدًا (٧٠) يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَن يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا ﴾ [الأحزاب: ٧٠ ، ٧١].

وقد اقتصر رسول الله ﷺ على بعض فقرات خطبة الحاجة المذكورة في بعض المواطن .

ففي صحيح مسلم(*) من حديث ابن عباس رضي الله عنهما :

أن ضمادًا قدم مكة . وكان من أزد شنوءة .وكان يرقى[1] من هذه الريح[2] . فسمع سفهاء من أهل مكة يقولون : إن محمداً مجنون . فقال : لو أني رأيت هذا الرجل لعل الله يشفيه على يدي . قال فلقيه فقال : يامحمد ! إني أرقي من هذه الريح . وإن الله يشفي على يدى من شاء . فهل لك[3] ؟ فقال رسول الله ﷺ: « إن الحمد لله . نحمده ونستعينه من يهده الله فلا مضل له . ومن يضلل فلا هادي له . وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له . وأن محمداً عبده ورسوله . أما بعد » . قال فقال : أعد عليَّ كلماتك هؤلاء . فأعادهن عليه رسول الله ﷺ . ثلاث مرات . قال فقال : لقد سمعت قول الكهنة وقول السحرة وقول الشعراء . فما

= ولنا أن رجلاً قال للنبي ﷺ يا رسول الله زوجنيها ، فقال رسول الله ﷺ : « زوجتكها بما معك من القرآن » متفق عليه ولم يذكر خطبة (المغني ٦ / ٥٣٧) .

(*) مسلم (حديث ٨٦٨) .

(١) (يرقى) من الرقية وهى العوذة التي يرقى بها صاحب الآفة .

(٢) (من هذه الريح) المراد بالريح ، هنا ، الجنون ومس الجن .

(٣) (فهل لك) أي فهل لك رغبة في رقيتي وهل تميل إليها .

سمعت مثل كلماتك هؤلاء . ولقد بلغن ناعوس البحر[١] . قال فقال : هات يدك أبايعك على الإسلام . قال فبايعه .

وفي صحيح مسلم[٢] من حديث جابر بن عبد الله رضي الله عنهما قال: كان رسول الله ﷺ إذا خطب احمرت عيناه ، وعلا صوته واشتد غضبه . حتى كأنه منذر جيش ، يقول : صبحكم ومساكم . ويقول : « **بعثت أنا والساعة كهاتين » ويقرن بين إصبعيه السبابه والوسطى . ويقول « أما بعد . فإن خير الحديث كتاب الله . وخير الهدى هدى محمد . وشر الأمور محدثاتها. وكل بدعة ضلالة** » .

*** ومن ذلك حمد الله والثناء عليه .**

ففي الصحيح[٣] من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه قال : مرَّ أبو بكر والعباس رضي الله عنهما بمجلس من مجالس الأنصار وهم يبكون فقال ما يبكيكم؟ قالوا : ذكرن مجلس النبي ﷺ منا ، فدخل على النبي ﷺ فأخبره بذلك قال فخرج النبي ﷺ وقد عصب على رأسه حاشية بُرد ، قال فصعد المنبر ، ولم يصعده بعد ذلك اليوم فحمد الله وأثنى عليه ثم قال :

---

(١) (ناعوس) ضبطناه بوجهين : أشهرهما ناعوس . هذا هو الموجود في أكثر نسخ بلادنا. والثاني قاموس وهذا الثاني هو المشهور في روايات الحديث في غير صحيح مسلم . وقال القاضي عياض : أكثر نسخ صحيح مسلم وقع فيها قاعوس . قال أبو عبيد: قاموس البحر وسطه . وقال ابن دريد : لجته . وقال صاحب كتاب العين : قعره الأقصى . قاله النووي .

(٢) مسلم (حديث ٨٦٧) .

(٣) البخاري (٣٧٩٩) والنسائي (الفضائل ٢٤١) .

«أوصيكم بالأنصار ولما خرج أبو بكر[١] يخبر الناس بوفاة رسول الله ﷺ حمد الله وأثنى عليه وقال : ألا من كان يعبد محمداً ﷺ فإن محمداً قد مات ، ومن كان يعبد الله فإن الله حيٌ لا يموت ، وقال : ﴿ **إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُم مَّيِّتُونَ** ﴾ [الزمر: ٣٠] .

وقال ﴿ **وَمَا مُحَمَّدٌ إِلاَّ رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَفَإِن مَّاتَ أَوْ قُتِلَ انقَلَبْتُمْ عَلَىٰ أَعْقَابِكُمْ وَمَن يَنقَلِبْ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ فَلَن يَضُرَّ اللَّهَ شَيْئًا وَسَيَجْزِي اللَّهُ الشَّاكِرِينَ** ﴾ [آل عمران: ١٤٤] .

---

(١) أخرج ذلك البخاري في صحيحه (٣٦٦٧ ، ٣٦٦٨) .

بسم الله الرحمن الرحيم في صدور الرسائل

قال سليمان عليه السلام : ﴿ **إِنَّهُ مِن سُلَيْمَانَ وَإِنَّهُ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ** ﴾ [النمل: ٣٠] .

وأرسل رسول الله ﷺ رسالة إلى هرقل فيها : « بسم الله الرحمن الرحيم من محمد عبد الله ورسوله إلى هرقل عظيم الروم »[١].

وفي صلح الحديبية قال رسول الله ﷺ لعليّ : « **اكتب بسم الله الرحمن الرحيم هذا ما قاضى عليه محمد رسول الله ....** » .

---

(١) البخاري (حديث ٧) ومسلم (حديث ١٧٧٣) .

تقدمات تتناسب مع موضوع الحديث

وأحيانا يقدم الخطاب بكلمات تتناسب مع ما سيذكر من الحديث ، كتقدمة بها يُرفع الحرج عن المتكلم أو يُطلب بها تثبيت المخاطب ، ونحو ذلك .

ومن ذلك ما يلي :

قول أم سليم لرسول الله ﷺ : يا رسول الله إن الله لا يستحي من الحق ، ثم سألته سؤالها فقالت : هل على المرأة من غسل إذا هي احتلمت[١] ؟؟

وقول ضمام[٢] : لرسول الله ﷺ : « إني سائلك فمشددٌ عليك في المسأله فلا تجد عليَّ في نفسك .

---

(١) البخاري (حديث ٢٨٢) ومسلم (١ / ٦٠٨) .

(٢) أخرج البخاري (حديث رقم ٦٣)من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه قال بينما نحن جلوس مع النبي ﷺ في المسجد دخل رجلٌ على جملٍ فأناخه في المسجد ثم عقله ثم قال لهم: أيكم محمد ، والنبي ﷺ متكيء بين ظهرانيهم ـ فقلنا : هذا الرجل الأبيض المتكيء فقال له الرجل : ابن عبد المطلب . فقال له النبيُّ ﷺ : قد أجبتك : فقال الرجل للنبيَّ ﷺ : إني سائلك فمشددٌ عليك في المسألة فلا تجد عليَّ في نفسك . فقال : سل عما بدا لك . فقال : أسألك بربك ورب من قبلك ، آلله أرسلك إلى الناس كلهم ؟ فقال : اللهم نعم . قال : أنشدك بالله ، آلله أمرك أن نصلي الصلوات الخمس في اليوم والليلة ؟ قال : اللهم نعم . قال: أنشدك بالله ، آلله أمرك أن نصوم هذا الشهر من السنة ؟ قال : اللهم نعم . قال : أنشدك بالله ، آلله أمرك أن تأخذ هذه الصدقة من أغنيائنا فتقسمها على فقرائنا ؟ فقال النبي ﷺ : اللهم نعم . فقال الرجل : آمنت بما جئت به ، وأنا رسول من ورائي من قومي ، وأنا ضمام بن ثعلبة أخو بني سعد بن بكر .

قلت : ويؤخذ من هذا الحديث أيضا ـ مما يتعلق بفقه الخطاب ـ ترك الإسترسال في الحديث إذا لم تكن فيه فائدة فالرجل لما سأل الرسول الله ﷺ فقال : ابن عبدالمطلب؟=

ومن ذلك قصة أم سليم مع زوجها رضي الله عنهما لما مات ولدها فانظر إلى حديثها الطيب وصنيعها الجميل قبل أن تخبر زوجها بوفاة ولده .

أخرج البخاري ومسلم[١] من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه قال : كان ابن لأبي طلحة يشتكي ، فخرج أبو طلحة فقُبض الصبي ، فلما رجع أبو طلحة قال: ما فعل ابني ؟ قالت أم سليم : هو أسكن ما كان ، فقربت إليه العشاء فتعشى ثم أصاب منها ، فلما فرغ قالت : وارِ الصبي فلما أصبح أبو طلحة أتى رسول الله ﷺ فأخبره فقال :« **أعرستم الليلة** »[٢] قال :نعم.

= قال له رسول الله ﷺ قد أجبتك ، فالرجل يعلم أن رسول الله ﷺ هو ابن عبد المطلب قال الحافظ في الفتح (١/ ١٨٢) : نزل تقريره للصحابة في الإعلام عنه منزلة النطق .

قلت : وفيه أيضا نوع من التقدمات التي يتقدم بها الحديث وذلك في قوله : « أسألك بربك ورب من قبلك » وفي قوله : « أنشدك بالله » .

وفيه كذلك الإيجاز والاختصار ، وذلك من قوله ﷺ : « اللهم نعم . . » .

(١) البخاري حديث (٥٤٧٠) ،ومسلم (ص ١٦٩٠) .

(٢) يعني : هل جامعت أهلك الليلة .

في بعض الروايات أن أم سليم قالت : يا أبا طلحة أرأيت أهل بيت أعاروا أهل بيت عارية فطلبها أصحابها أيردونها أو يحبسونها ؟ فقال : بل يردونها عليهم قالت : فاحتسب أبا عمير.

وفي رواية أخرى ، وإسنادها صحيح أيضًا أن أم سليم قالت : لا تخبروا أبا طلحة بموت ابنه فرجع من المسجد وقد يســرت له عشاءه كما كـانت تفعـل ، فقـال : ما فـعل الغـلام ـ أو الصبي ؟ ، قالت : خير ما كان ، فقربت له عشاءه فتعشى هو وأصحابه الذين معه ثم قامت إلى ما تقوم له المرأة فأصاب من أهله ، فلما كان من آخر الليل قالت : يا أبا طلحة : ألم تر إلى آل فلان استعاروا عارية فتمتعوا بها فلما طُلبت إليهم شق عليهم ؟ قال : ما أنصفوا. قالت : فإن ابنك فلانًا كان عارية من الله فقبضه إليه ، قال : فاسترجع وحمد الله. . . الحديث . =

قال : « **اللهم بارك لهما في ليلتهما** » فولدت غلامًا . قال لي أبو طلحة : احفظه حتى تأتي به النبي ﷺ فأتى به النبي ﷺ وأرسلت معه بتمرات فأخذه النبي ﷺ فقال : « **أمعه شيء ؟** » قالوا : نعم ، تمرات . فأخذها النبي ﷺ فمضغها ثم أخذ من فيه فجعلها في فيِّ الصبي وحنكه وسماه عبد الله .

*** وانظر إلى تقدمة أم سليم الحسنة بين يدىّ اعتذارها .**

أخرج النسائي بإسناد صحيح[1] من حديث أنس رضي الله عنه قال : خطب أبو طلحة أم سليم فقالت ، والله ما مثلك يا أبا طلحة يُرد ، ولكنك رجل كافرٌ ، وأنا امرأة مسلمة ولا يحل لي أن أتزوجك ، فإن تسلم فذاك مهري ، وما أسألك غيره ، فأسلم فكان ذلك مهرها .

قال ثابت : فما سمعت بامرأة قط كانت أكرم مهرًا من أم سليم : الإسلام ، فدخل بها فولدت له .

= وفي رواية أخرى صحيحة أيضًا أنها قالت : يا أبا طلحة إن آل فلان استعاروا من آل فلان عارية فبعثوا إليهم أن ابعثوا إلينا بعاريتنا فأبوا أن يردوها فقال أبو طلحة : ليس لهم ذلك إن العارية مؤداة إلى أهلها قالت : فإن ابنك كان عارية من الله وإن الله قد قبضه ، فاسترجع .

وفي رواية أخرى أنه قال : لها : ما فعل ابني ؟ قالت : صالح ، فأتته بتحفتها التي كانت تتحفه بها فأصاب منها ، ثم طلبت منه ما تطلب المرأة من زوجها فأصاب منها، ثم قالت : ما رأيت ما صنع ناسٌ من جيرتنا كانت عندهم عارية فطلبوها فأبوا أن يردوها فقال : (بئس ما صنعوا) فقالت هذا أنت كان ابنك عارية من الله وإن الله قد قبضه إليه ، فقال لها : والله لا تغلبيني الليلة على الصبر . . . .

وكل هذه الروايات عند ابن سعد في « الطبقات » وغيره وبمجموعها بل وبمفرداتها تصح بلا شك ولا ريب .

(١) النسائي (٦ / ١١٤) .

وأخرج ابن سعد[١] في الطبقات بإسناد صحيح : عن أنس أيضًا قال : جاء أبو طلحة يخطب أم سليم فقالت : إنه لا ينبغي لي أن أتزوج مشركًا ، أما تعلم يا أبا طلحة أن آلهتكم التي تعبدون ينحتها عبد آل فلان النجار ، وأنكم لو أشعلتم فيها نارًا لاحترقت ؟! قال : فانصرف عنها وقد وقع في قلبه من ذلك موقعًا ، قال: وجعل لا يجيئها يومًا إلا قالت له ذلك ، قال : فأتاها يومًا فقال : الذي عرضت عليَّ قد قبلت ، قال : فما كان لها مهر إلا إسلام أبي طلحة .

*** ومن التقديمات بين يدي الخطاب والأدب في ذلك :**

قول وفد عبد القيس لرسول الله ﷺ لما أتوه : **يا نبي الله جعلنا الله فداءك** ماذا يصلح لنا من الأشربه [٢] ؟ . . . .

وقول عمر لرسول الله ﷺ : **يا رسول الله بأبي أنت وأمي** أبعثت أبا هريرة بنعليك من لقيَ يشهد أن لا إله إلا الله مستيقناً بها قلبه فبشره بالجنة ! قال : «**نعم**»[٣] .

وهرقل يقدم مقدمةً بين يديّ رغبته في إسلام قومه من الروم فيقول لهم يا معشر الروم هل لكم في الفلاح والرشد وأن يثبت ملككم فتبايعوا هذا النبي[٤].

---

(١) ابن سعد في الطبقات (٨ / ٣١٢) .

(٢) مسلم (ص ٥٠) .

(٣) مسلم (ص ٦٠ حديث ٣١) .

(٤) البخاري (حديث ٧) .

ومن ذلك أيضا قول النبي ﷺ لليهود : « **إني سائلكم عن شيء فهل أنتم صادقي عنه ؟** »[(١)] .

ومن ذلك قول حاطب لرسول الله ﷺ[(٢)] : يا رسول الله لا تعجل عليَّ وذلك لما أرسل حاطب رسالة إلى أهل مكة يخبرهم ببعض أمر رسول الله ﷺوعلم بذلك رسول الله ﷺ وأُتي بالرسالة فقال رسول الله ﷺ ياحاطب ما هذا ؟ . . . الحديث .

وانظر إلى هذا التقديم الطيب الرائع الذي يُقدمه عبيد الله بن عدي بن الخيار بين يديّ نصيحته لأمير المؤمنين عثمان رضي الله عنه ، فقد أخرج البخاري[(٣)] من طريق عبيد الله بن عدي بن الخيار أن المسور بن مخرمة وعبد الرحمن بن الأسود ابن عبد يغوث قالا له[(٤)] : ما يمنعك أن تكلم خالك

---

(١) البخاري (٣١٦٩) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال : « لما فتحت خيبر أُهديت للنبي ﷺ شاة فيها سم ، فقال النبي ﷺ : اجمعوا لي من كان ها هنا من يهود ، فجمعوا له ، فقال : إني سائلكم عن شيءٍ فهل أنتم صادقي عنه ؟ فقالوا : نعم . قال لهم النبي ﷺ : من أبوكم ؟ قالوا : فلان . فقال : كذبتم ، بل أبوكم فلان . قالوا : صدقت . قال : فهل أنتم صادقي عن شيءٍ إن سألت عنه ؟ فقالوا : نعم يا أبا القاسم ، وإن كذبنا عرفت كذبنا كما عرفته في أبينا . فقال لهم : من أهل النار ؟ قالوا : نكون فيها يسيرًا ، ثم تخلفونا فيها. فقال النبي ﷺ اخسئوا فيها، والله لا نخلفكم فيها أبدًا . ثم قال : هل أنتم صادقي عن شيء إن سألتكم عنه؟ قالوا: نعم يا أبا القاسم . قال : هل جعلتم في هذه الشاة سمًّا ؟ قالوا : نعم . قال: ما حملكم على ذلك ؟ قالوا : إن كنت كاذبًا نستريح ،و إن كنت نبيًّا لم يضرك » .

(٢) البخاري (٣٠٠٧) ، (٤٢٧٤) ومسلم (حديث ٢٤٩٤) .

(٣) أخرجه البخاري (٣٨٧٢) و (٣٦٩٦) .

(٤) في رواية البخاري (٣٦٩٦) فقد أكثر الناس فيه .

عثمان في أخيه الوليد بن عقبة، وكان أكثر الناس فيما فعل به . قال عبيد الله : فانتصبت لعثمان حين خرج إلى الصلاة فقلت له : إن لي إليك حاجة، وهي نصيحة . فقال : أيها المرء ، أعوذ بالله منك . فانصرفت . فلما قضيت الصلاة جلست إلى المسور وإلى ابن عبد يغوث فحدثتهما بما قلت لعثمان وقال لي . فقالا : قد قضيت الذي كان عليك . فبينما أنا جالس معهما إذ جاءني رسول عثمان ، فقالا لي : قد ابتلاك الله . فانطلقت حتى دخلت عليه ، فقال : ما نصيحتك التي ذكرت آنفًا ؟ قال فتشهدت ثم قلت : إن الله بعث محمدًا ﷺ وأنزل عليه الكتاب ، وكنت ممن استجاب لله ورسوله ﷺ وآمنت به ، وهاجرت الهجرتين الأوليين ، وصحبت رسول الله ﷺ ورأيت هديه . وقد أكثر الناس في شأن الوليد بن عقبة ، فحقٌ عليك أن تقيم عليه الحد . فقال لي : يا ابن أخي ، أدركت رسول الله ﷺ ؟ قال : قلت لا ،ولكن قد خلص إليَّ من علمه ما خلص إلى العذراء في سترها . قال فتشهد عثمان فقال : إن الله قد بعث محمداً ﷺ بالحق ، وأنزل عليه الكتاب ، وكنت ممن استجاب لله ورسوله ، وآمنت بما بعث به محمد ﷺ ، وهاجرت الهجرتين الأوليين كما قلت ـ وصحبت رسول الله ﷺ وبايعته. والله ما عصيته ولا غششته. ثم استخلفت، أفليس لي عليكم مثل الذي كان لهم عليَّ ؟ قال : بلى . قال : فما هذه الأحاديث التي تبلغني عنكم ؟ فأما ما ذكرت من شأن الوليد بن عقبة فسنأخذ فيه إن شاء الله بالحق . قال فجلد الوليد أربعين جلدة ، وأمر عليًا أن يجلده ، وكان هو يجلده » .

تطييب الخواطر مع الإرشاد إلى الأفضل

وينبغي أن تطيب خاطر من تحادثه مع إرشاده وتوجيهه إلى الأفضل ففي الصحيحين[١] من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه : « إن ناسًا من الأنصار سألوا رسول الله ﷺ فأعطاهم ثم سألوه فأعطاهم ثم سألوه فأعطاهم حتى نفذ ما عنده فقال : ما يكون عندي من خيرٍ فلن أدخره عنكم، ومن يستعفف يعفه الله، ومن يستغن يغنه الله ، ومن يتصبر يصبره الله، وما أعطى أحدٌ عطاءًا خيرًا وأوسع من الصبر .

وفي الصحيحين[٢] كذلك من حديث حكيم بن حزام رضي الله عنه قال: سألت رسول الله ﷺ فأعطاني ثم سألته فأعطاني ثم سألته فأعطاني ثم قال : ياحكيم إن هذا المال خضرةٍ حلوة فمن أخذه بسخاوة نفسٍ بورك له فيه ، ومن أخذه بإشراف نفس لم يبارك له فيه كالذي يأكل ولا يشبع .

---

(١) البخاري (١٤٦٩) ومسلم (حديث ١٠٥٣) .

(٢) البخاري (١٤٧٢) ومسلم (حديث ١٠٣٥) .

وإذا أردت أن تعطي أحدًا شيئًا أو تمنع آخر من شيء فكلّل ذلك بالكلمات الطيبة

وليكن منعك أو عطاؤك مصحوبًا بالخلق الحسن والثناء الجميل فالله عزّ وجل يقول في كتابه الكريم ﴿ **وَآتِ ذَا الْقُرْبَىٰ حَقَّهُ وَالْمِسْكِينَ وَابْنَ السَّبِيلِ وَلَا تُبَذِّرْ تَبْذِيرًا (٢٦) إِنَّ الْمُبَذِّرِينَ كَانُوا إِخْوَانَ الشَّيَاطِينِ وَكَانَ الشَّيْطَانُ لِرَبِّهِ كَفُورًا (٢٧) وَإِمَّا تُعْرِضَنَّ عَنْهُمُ ابْتِغَاءَ رَحْمَةٍ مِّن رَّبِّكَ تَرْجُوهَا فَقُل لَّهُمْ قَوْلًا مَّيْسُورًا** ﴾ [الإسراء : ٢٦ ـ ٢٨] .

وانظر إلى الكلمات الطيبة والثناء العطر وجبر الخاطر في حديث رسول الله ﷺ لأصحابه الثلاثة الكرام لما قضي بينهم في شأن ابنة حمزة ، كما في « صحيح البخاري »(١) من حديث البراء رضي الله عنه قال : لما اعتمر النبي ﷺ في ذي القعدة . . فذكر الحديث وفيه فخرج النبي ﷺ فتبعته ابنة حمزة تنادي يا عمِّ يا عمَّ، فتناولها عليٌّ فأخذ بيدها وقال لفاطمة : دونك ابنة عمك حمّليها ، فاختصم فيها عليٌّ وزيد وجعفر ، قال عليٌّ : أنا أخذتها وهي بنت عمي !

وقال جعفر : ابنة عمي وخالتها تحتي !

وقال زيد : ابنة أخي !

فقضى بها النبي ﷺ لخالتها وقال : « **الخالة بمنزلة الأم** » .

وقال لعلي : « **أنت مني وأنا منك** » !!

---

(٢) البخاري (حديث ٤٢٥١) .

وقال لجعفر : « **أشبهت خلقي وخُلُقي** » !!

وقال لزيد : « **أنت أخونا ومولانا** » !!

فانظر إلى تطييب الخاطر ، « **أنت مني وأنا منك** » !

« **أشبهت خلقي وخُلُقي** » !

« **أنت أخونا ومولانا** » !

ومن ذلك أيضًا قول النبي ﷺ : « **أرأيتم إن حدثتكم أن العدو مصبِّحكم أو ممسيكم أكنتم تصدقوني** ؟ قالوا : نعم . قال : **فإني نذيرٌ لكم بين يدي عذاب شديد** »[1] .

وفي رواية في الصحيحين : « **أرأيتكم لو أخبرتكم أن خيلاً بالوادي تريد أن تغير عليكم أكنتم مصدقي** ؟ قالوا : نعم ما جربنا عليك إلا صدقا . قال : **فإني نذيرٌ لكم بين يدي عذاب شديد** »[2] .

ومن ذلك أيضا قول عائشة رضي الله عنها لعبد الله بن شداد : هل أنت صادقي عما أسألك عنه ؟ [3] .

---

(١) البخاري (٤٩٧٢) .

(٢) البخاري (حديث ٤٣٣٠) ومسلم (حديث ١٠٦١) .

(٣) أحمد (في المسند ١ / ٨٦ ـ ٨٧) .

وهذا طرف من أدب النصح والخطاب والتوجيه

إذا أخطأ فاضل من الفضلاء في مسألة وزلت قدمه فيها ورأيت أن تبين له وجه خطئه فيها فذكِّره بما فيه من محاسن بين يدي بيانك وتنبيهك ثم قدِّم نصيحتك فيكون ذلك أدعى لتهيئة مشاعره لقبول قولك والعمل بنصحك فما من البشر أحد إلا وزلت قدمه في مسألة من المسائل أو أخطأ في فهمها فاذكر لأهل الفضل فضلهم والتمس لهم معاذير في أخطائهم ألا تقرأ كتاب الله في شأن نبييه داود وسليمان عليهما السلام : ﴿ وَدَاوُدَ وَسُلَيْمَانَ إِذْ يَحْكُمَانِ فِي الْحَرْثِ إِذْ نَفَشَتْ فِيهِ غَنَمُ الْقَوْمِ وَكُنَّا لِحُكْمِهِمْ شَاهِدِينَ (٧٨) فَفَهَّمْنَاهَا سُلَيْمَانَ وَكُلًّا آتَيْنَا حُكْمًا وَعِلْمًا وَسَخَّرْنَا مَعَ دَاوُدَ الْجِبَالَ يُسَبِّحْنَ وَالطَّيْرَ وَكُنَّا فَاعِلِينَ ﴾ [الأنبياء: ٧٨، ٧٩] .

فانظر إلى قوله سبحانه ﴿ فَفَهَّمْنَاهَا سُلَيْمَانَ ﴾ ثم انظر إلى قوله : ﴿وَكُلًّا آتَيْنَا حُكْمًا وَعِلْمًا ﴾ فحتى لا يتسرب إلى ذهن شخص أن داود عليه السلام قليل الفهم، قال تعالى : ﴿ وَكُلًّا آتَيْنَا حُكْمًا وَعِلْمًا ﴾ ثم ذكر الله بعض الفضل الذي منّ به على داود عليه السلام بقوله : ﴿ وَسَخَّرْنَا مَعَ دَاوُدَ الْجِبَالَ يُسَبِّحْنَ وَالطَّيْرَ وَكُنَّا فَاعِلِينَ ﴾ [الأنبياء: ٧٩] .

فإذا أخطأ شخص في مسألة فقل له مثلاً : يا هذا عهدناك تفهم ونعرف عنك الفضل والذكاء ولكنك في هذه المسألة ابتعدت شيئًا ما عن الصواب ، فلعلك مرهق ، لعلك متعب ، لعلك . . . وذلك حتى يسمح له بالتفكير وإعادة النظر ، وأيضًا فحافظ على حقوق وأعراض من تقوِّم تصرفاته أو توضحها له إذا خفيت عليه .

وقال الله سبحانه في شأن نبيه يعقوب عليه السلام مع بنيه : ﴿ وَقَالَ يَا بَنِيَّ لَا تَدْخُلُوا مِنْ بَابٍ وَاحِدٍ وَادْخُلُوا مِنْ أَبْوَابٍ مُتَفَرِّقَةٍ وَمَا أُغْنِي عَنْكُمْ مِنَ

اللَّه من شَيْءٍ إِنِ الْحُكْمُ إِلاَّ للَّه عَلَيْه تَوَكَّلْتُ وَعَلَيْه فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُتَوَكِّلُونَ (٦٧) وَلَمَّا دَخَلُوا مِنْ حَيْثُ أَمَرَهُمْ أَبُوهُم مَّا كَانَ يُغْنِي عَنْهُم مِّنَ اللَّهِ من شَيْءٍ إِلاَّ حَاجَةً فِي نَفْسِ يَعْقُوبَ قَضَاهَا وَإِنَّهُ لَذُو عِلْمٍ لِّمَا عَلَّمْنَاهُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لا يَعْلَمُونَ ﴾ [يوسف: ٦٧ ، ٦٨] .

فانظر إلى قوله تعالى : ﴿ مَّا كَانَ يُغْنِي عَنْهُم مِّنَ اللَّهِ من شَيْءٍ ﴾ إلى قوله تعالى : ﴿ وَإِنَّهُ لَذُو عِلْمٍ لِّمَا عَلَّمْنَاهُ ﴾ ؟!! فقد يظن ظآن أن يعقوب قليل العلم لما قال لبنيه : ﴿ لا تَدْخُلُوا مِنْ بَابٍ وَاحِدٍ ﴾ فدفع هذا الظن بقوله تعالى : ﴿ وَإِنَّهُ لَذُو عِلْمٍ لِّمَا عَلَّمْنَاهُ ﴾ .

وكذلك فأمعن النظر في قوله تعالى ﴿ فَلَمَّا ذَهَبَ عَنْ إِبْرَاهِيمَ الرَّوْعُ وَجَاءَتْهُ الْبُشْرَىٰ يُجَادِلُنَا فِي قَوْمِ لُوطٍ (٧٤) إِنَّ إِبْرَاهِيمَ لَحَلِيمٌ أَوَّاهٌ مُّنِيبٌ (٧٥) يَا إِبْرَاهِيمُ أَعْرِضْ عَنْ هَذَا إِنَّهُ قَدْ جَاءَ أَمْرُ رَبِّكَ وَإِنَّهُمْ آتِيهِمْ عَذَابٌ غَيْرُ مَرْدُودٍ ﴾ [هود: ٧٤ ـ ٧٦] .

فانظر إلى قوله : ﴿ يُجَادِلُنَا فِي قَوْمِ لُوطٍ ﴾ !! ثم انظر إلى قولهتعالى : ﴿ إِنَّ إِبْرَاهِيمَ لَحَلِيمٌ أَوَّاهٌ مُّنِيبٌ ﴾ !! ثم إلى قوله : ﴿ يَا إِبْرَاهِيمُ أَعْرِضْ عَنْ هَذَا ﴾ !!

وكذلك فلتنظر إلى قوله تعالى لنبيه محمد ﷺ : ﴿ عَفَا اللَّهُ عَنكَ لِمَ أَذِنتَ لَهُمْ ﴾ [التوبة: ٤٣] .

فلتقل لصاحبك إذا فعل ما لا تريد : عفا الله عنك لم صنعت كذا ؟! هلا صنعت كذا وكذا ؟!! ، وفقك الله كان ينبغي أن تصنع كذا وكذا !!!

إنك إن قلت له مثل ذلك هيأت نفسيته لقبول ما ستلقى عليه وأدخلت الثقة في نفسه ، وحملته على الإصلاح ، والله الموفق وهو الهادي إلى سواء السبيل !

من طرق الاقناع

* وانظر إلى هذه الطريقة من طرق الإقناع

ألا وهي تقرير المخاطب بأصول وقواعد ثم البناء على هذه الأصول والقواعد بعد إقراره ، وهي طريقة لها أصلها وأدلتها من كتاب الله وسنة رسوله ﷺ وأفعال العقلاء .

قال الله سبحانه وتعالى : ﴿ **سَيَقُولُونَ لِلَّهِ قُلْ أَفَلا تَذَكَّرُونَ ﴿٨٥﴾ قُلْ مَن رَّبُّ السَّمَوَاتِ السَّبْعِ وَرَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ ﴿٨٦﴾ سَيَقُولُونَ لِلَّهِ قُلْ أَفَلا تَتَّقُونَ ﴿٨٧﴾ قُلْ مَنْ بِيَدِهِ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ يُجِيرُ وَلا يُجَارُ عَلَيْهِ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٨٨﴾ سَيَقُولُونَ لِلَّهِ قُلْ فَأَنَّىٰ تُسْحَرُونَ** ﴾ [المؤمنون: ٨٥ ـ ٨٩] .

وقال النبي ﷺ للمشركين في بداية دعوته آخذًا منهم الاعتراف والإقرار بصدقه : « **أرأيتكم لو أخبرتكم أن خيلاً بالوادي تريد أن تُغير عليكم أكنتم مصدقي ؟ قالوا : نعم ، ما جربنا عليك إلا صدقًا . قال : فإني نذير لكم بين يدي عذاب شديد** »[1] .

وانظر إلى مقالة الرسول ﷺ للأنصار لما أعطى المؤلفة قلوبهم ولم يُعط الأنصار شيئًا فكأنهم وجدوا (أى حزنوا) إذ لم يصبهم ما أصاب الناس فخطبهم فقال : « يا معشر الأنصار ، ألم أجدكم ضُلالاً فهداكم الله بي ، وكنتم متفرقين فألفكم الله بي ، وعالة فأغناكم الله بي ؟ كلما قال شيئاً قالوا: الله ورسوله أمنُّ ثم قال لهم : ألا ترضون أن يذهب الناس بالشاة

(١) البخاري (حديث ٤٧٧٠) ومسلم (حديث ٢٠٨) من حديث ابن عباس رضي الله عنهما مرفوعاً .

والبعير وتذهبون بالنبي ﷺ إلى رحالكم » . . . الحديث[١] .

وأخرج الإمام أحمد[٢] في مسنده من حديث أبي أمامة ـ رضي الله عنه ـ قال : « **إن فتى شابًا أتى النبي ﷺ فقال : يا رسول الله ، ائذن لي بالزنا . فأقبل القوم عليه فزجروه ، وقالوا : مه مه ! فقال : « ادنه » فدنا منه قريبًا قال : فجلس قال: «أتحبه لأمك ؟ » قال : لا والله ، جعلني الله فداءك . قال : « ولا الناس يحبونه لأمهاتهم » قال : « أفتحبه لابنتك » ؟ قال : لا والله يا رسول الله جعلني الله فداءك . قال : « ولا الناس يحبونه لبناتهم » قال : « أفتحبه لأختك؟ » قال: لا والله ، جعلني الله فداءك . قال : « ولا الناس يحبونه لأخواتهم » قال: « أفتحبه لعمتك ؟ » قال : لا والله ، جعلني الله فداءك . قال : « ولا الناس يحبونه لعماتهم ؟ » قال : « أفتحبه لخالتك ؟ » قال : لا والله ، جعلني الله فداءك يا رسول الله . قال : « ولا الناس يحبونه لخالاتهم » قال : فوضع يده عليه وقال : « اللهم اغفر ذنبه ، وطهر قلبه وحصن فرجه » فلم يكن بعد ذلك الفتى يلتفت إلى شيء** .

وها هو عليه السلام يقرر اليهود[٣] ـ قبل إخبارهم بإسلام عبد الله بن سلام ـ بسيادة عبد الله بن سلام وفضل عبد الله بن سلام .

قال عليه الصلاة والسلام لليهود : « **فأي رجل فيكم عبد الله بن سلام ؟» قالوا : ذاك سيدنا وابن سيدنا وأعلمنا وابن أعلمنا ، قال : « أفرأيتم إن**

---

(١) البخاري (حديث ٤٣٣٠) ومسلم (حديث ١٠٦١) .

(٢) أحمد في « المسند (٥ / ٢٥٦) بإسناد صحيح .

(٣) لكن التوفيق من عند الله .

أسلم؟» قالوا : حاشا لله ما كان ليسلم ، قال : « يا ابن سلام ، اخرج عليهم » ، فخرج فقال : يا معشر اليهود اتقوا الله ، فوا الله الذي لا إله إلا هو إنكم لتعلمون أنه رسول الله ، وأنه جاء بحق فقالوا : كذبت فأخرجهم رسول الله ﷺ[1] .

وها هو عروة بن مسعود الثقفي يقول للمشركين قبيل صلح الحديبية قبل أن يشير عليهم بما يراه ، وقد كان منهم آنذاك ، يقول لهم : ألستم بالوالد ؟ قالوا : بلى ، قال : أولست بالولد ؟ قالوا : بلى ، قال : فهل تتهموني ؟ قالوا : لا ، قال : ألستم تعلمون أني استنفرت أهل عكاظ فلما بلَّحوا عليّ جئتكم بأهلي وولدي ومن أطاعني ؟ قالوا : بلى . قال : فإن هذا قد عرض عليكم خطة رشد اقبلوها ودعوني آتيه . . الحديث[2] .

فانظر إلى استهلاله للحديث وإلى ذكر مآثره أمامهم حتى ينفي عن نفسه تهمة الخيانة لهم . . ثم حثُّه لهم على قبول خطة الصلح ؛ فحقًا إنه فقه تعامل فقه تخاطب مع الناس ، يؤتيه الله من يشاء من عباده .

فهى طريقة سلكها العقلاء والتمسها الفضلاء للوصول إلى المراد بالتي هي أحسن .

* وانظر إلى هذه الطريقة من طرق الأدب في الخطاب

تلك الطريقة التي سلكها الأنصار مع رسول الله ﷺ لما أُسر العباس عم رسول الله ﷺ مع المشركين يوم بدر فقد أخرج البخاري[3] رحمه الله تعالى

(١) أخرجه البخاري (٣٩١١) من حديث أنس رضي الله عنه .

(٢) البخاري (حديث ٢٧٣١ ، ٢٧٣٢) من حديث المسور بن مخرمة ومروان .

(٣) البخاري (حديث ٢٥٣٧) .

من حديث أنس ـ رضي الله عنه ـ أن رجالاً من الأنصار استأذنوا رسول الله ﷺ فقالوا : ائذن لنا فلنترك لابن أختنا عباسٍ فداءَهَ ، فقال : « **لا تدعون منه درهمًا واحدًا** » .

فالأنصار أخوال أبيه عبد المطلب (أي أخوال والد العباس)[1] وهي درجة قرابة أبعد من قرابة العباس من رسول الله ﷺ فالعباس هو عم رسول الله ﷺ .

فلم يقولوا ائذن لنا فلنترك لعمك فداءه ، ولكن قالوا : (ائذن لنا أن نترك لابن أختنا فداءه) ، وذلك حتى تكون المنة إنما هي من رسول الله ﷺ عليهم في الإذن لهم بالتنازل عن الفدية ، وليست منهم على رسول الله ﷺ بالمن على عمه بترك الفدية .

إلى هذا أشار الحافظ ابن حجر رحمه الله بقوله :

وإنما قالوا : ابن أختنا ، لتكون المنَّة عليهم في إطلاقه بخلاف مالو قالوا: عمك ، لكانت المنَّة عليه ﷺ ، وهذا من قوة الذكاء وحسن الأدب في الخطاب ، وإنما امتنع النبي ﷺ من إجابتهم لئلا يكون في الدين نوع محاباة .

* ومن أمثلة ذلك في حياتنا الدنيا وتعاملاتنا مع الناس ما يلي :

---

(١) قال الحافظ ابن حجر رحمه الله تعالى (فتح الباري ٥ / ٢٠٠) : والمراد أنهم أخوال أبيه عبد المطلب فإن أم العباس هي نتيلة بالنون والمثناة مصغرة بنت جنان بالجيم والنون وليست من الأنصار وإنما أرادوا بذلك أن أم عبد المطلب منهم لأنها سلمى بنت عمرو ابن أحيحة بمهملتين مصغر وهو من بني النجار ، وأخواله حقيقة إنما هم بنو زهرة وبنو النجار أخوال جده عبد المطلب .

تريد أن تطعم شخصًا من بيتك ففرقٌ بين قولك له : هيا إلى بيتي أُطعمك ، وفرقٌ بين قولك له هل تتفضل عليَّ وتشرفني بالطعام في بيتي ؟!

شخص يدعوك لوليمة عنده ، ففرقٌ بين أن تقول له : لن آتي وبين قولك له: هل تسمح لي في التأخير لأفعل كذا وكذا ؟

إنك بقولك الأخير جعلته صاحب القرار مع أنك في الحالين ستصل إلى مرادك بإذن الله .

وكذلك إذا تقدم رجلٌ لخطبة امرأة فقررت في نفسها الامتناع عن الزواج به ففرق بين قولها له : أنا أرفضك أو لا أرغب فيك ، وبين قولها له : إني رأيتك فرأيت أنك تحتاج إلى امرأة هي أفضل مني ، أو إن بلدتكم بعيدة عن بلدتي ووالدتي لا ترغب في غربتي ، إلى غير ذلك من أساليب الامتناع الطيبة التي لا تكسر خاطرًا ولا تُهين مسلمًا ولا تجرح حياءً .

والموفق من وفقه الله سبحانه وتعالى .

وكذلك فانظر إلى إجابة وحشي بن حرب لرسول الله ﷺ ففي «صحيح البخاري»[(١)] : « أن وحشي قدم على رسول الله ﷺ قال وحشي : فلما رآني قال : « **أنت وحشي** » ؟! قلت : نعم ، قال : **أنت قتلت حمزة** » قلت : قد كان من الأمر ما بلغك . . . . » .

فانظر إلى قوله لما سأله رسول الله ﷺ : « أنت قتلت حمزة ؟ » وإجابته بقوله : « قد كان من الأمر ما بلغك » .

---

(١) البخاري (حديث ٤٠٧٢) .

فلم يقل له : نعم ، أنا قتلته وفعلت به وفعلت ، فإن في ذلك إثارة للكامن في النفوس ، ولكنه قال : « قد كان من الأمر ما بلغك » . . فافهم يا عبد الله وانتق الكلمات واختر أفضل العبارات وسل الله التوفيق والسداد .

*** ومن تأهيل المخاطب كذلك**

ما أخرجه البخاري ومسلم[١] من حديث أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها قالت : « لما أمر رسول الله ﷺ بتخيير أزواجه بدأ بي . فقال : « إني ذاكر لك أمرًا . فلا عليك أن تعجلي[٢] حتى تستأمري أبويك » قالت : قد علم أن أبويَّ لم يكونا ليأمراني بفراقه . قالت : ثم قال : إن الله عز وجل قال : ﴿ **يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُل لِّأَزْوَاجِكَ إِن كُنتُنَّ تُرِدْنَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَزِينَتَهَا فَتَعَالَيْنَ أُمَتِّعْكُنَّ وَأُسَرِّحْكُنَّ سَرَاحًا جَمِيلًا (٢٨) وَإِن كُنتُنَّ تُرِدْنَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَالدَّارَ الْآخِرَةَ فَإِنَّ اللَّهَ أَعَدَّ لِلْمُحْسِنَاتِ مِنكُنَّ أَجْرًا عَظِيمًا** ﴾ [الأحزاب: ٢٨ ، ٢٩] قالت فقلت : في أي هذا أستأمر أبويَّ ؟ فإني أريد الله ورسوله والدار الآخرة . قالت : ثمَّ فعل أزواج رسول الله ﷺ مثل ما فعلت .

ولك أن تثبت المودة والمحبة لمن ستعتذر إليه أو تقوم بنصحه حتى يقبل منك عذرك أو يسمع إلى نصحك .

فحاطب يقول بين يدي اعتذاره لرسول الله ﷺ وعما قام به من إرسال رسالة للمشركين : يا رسول الله لا تعجل عليَّ [٣].

---

(١) البخاري (حديث ٤٧٨٥) ومسلم (حديث ١٤٨٥) .

(٢) المعنى ، والله أعلم لا بأس عليك بتأخير الإجابة .

(٣) البخاري (حديث ٤٢٧٤) ومسلم (حديث ٢٤٩٤) .

ويقول أيضًا : والله ما بي أن لا أكون مؤمنا بالله ورسوله ﷺ .

وأسامة بن زيد يرسل إلى عليّ رضي الله عنه لما تخلف عنه أسامة في قتال معاوية فيقول معتذرًا عن حضوره القتال : لو كنت في شدق الأسد لأحببت أن أكون معك ،ولكن هذا أمرٌ لم أره[١].

وهذه كلمات موجزة مؤدية للغرض من رسول الله ﷺ ، صحبتها استهلالاً بين يدي الخطاب من رجل عاقلٍ جاء يسأل رسول الله ﷺ أخرج مسلم[٢] في صحيحه من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه قال : نهينا أن نسأل رسول الله ﷺ عن شيء فكان يعجبنا أن يجيء الرجل من أهل البادية العاقل ، فيسأله ونحن نسمع ، فجاء رجل من أهل البادية . فقال : يامحمد أتانا رسولك .فزعم لنا أنك تزعم أن الله أرسلك ؟ قال : «صدق» قال : فمن خلق السماء ؟ قال : «الله» قال : فمن خلق الأرض ؟ قال «الله» قال : فمن نصب هذه الجبال ، وجعل فيها ما جعل . قال « الله » قال : فبالذي خلق السماء وخلق الأرض ونصب هذه الجبال . آلله أرسلك؟ قال « نعم » قال : وزعم رسولك أن علينا خمس صلوات في يومنا وليلتنا . قال « صدق » قال : فبالذي أرسلك . آلله أمرك بهذا ؟ قال « نعم » قال : وزعم رسولك أن علينا صوم شهر رمضان في سنتنا . قال « صدق » قال : فبالذي أرسلك . آلله أمرك بهذا ؟ قال « نعم » قال: وزعم رسولك أن علينا حج البيت من استطاع إليه سبيلا . قال « صدق » قال ، ثم ولّى قال : والذي بعثك بالحق ! لا أزيد عليهن ولا أنقص منهن . فقال النبي ﷺ « لئن صدق ليدخلن الجنة » .

---

(١) أخرجه البخاري (٧١١٠) .

(٢) مسلم حديث (١٢) .

* ومن ذلك إدخالك السرور على من تحادثه

ففي صحيح مسلم[١] من حديث جابر بن عبد الله رضي الله عنهما قال: دخل أبو بكر يستأذن على رسول الله ﷺ . فوجد الناس جلوسًا ببابه . لم يؤذن لأحد منهم . قال : فأُذن لأبي بكر . فدخل . ثم أقبل عمر فاستأذن فأُذن له . فوجد النبي ﷺ جالسًا ، حوله نساؤه . واجمًا[٢] ساكتًا .قال فقال : لأقولن شيئًا أُضحك النبي ﷺ .

فقال يا رسول الله ! لو رأيت بنت خارجة ! سألتني النفقة فقمت إليها فوجأت عنقها[٣] . فضحك رسول الله ﷺ وقال « هن حولي كما ترى . يسألنني النفقة . فقام أبو بكر إلى عائشة يجأُ عنقها . وقام عمر إلى حفصة يجأُ عنقها . كلاهما يقول : تسألن رسول الله ﷺ ما ليس عنده . فقلن : والله ! لا نسأل رسول الله ﷺ شيئًا أبدًا ليس عنده . ثم اعتزلهن شهرًا أو تسعًا وعشرين . ثم نزلت عليه هذه الآية : ﴿ **يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُل لأَزْوَاجِكَ** ﴾ حتى بلغ ﴿ **لِلْمُحْسِنَاتِ مِنكُنَّ أَجْرًا عَظِيمًا** ﴾ [الأحزاب:٢٨ ، ٢٩] . قال : فبدأ بعائشة ، فقال « يا عائشة ! إني أُريد أن أعرض عليك أمرًا أُحب أن لا تعجلي فيه حتى تستشيري أبويك » قالت : وما هو ؟ يا رسول الله ! فتلا عليها هذه الآية . قالت : أفيك ، يا رسول الله ! أستشير أبويَّ ؟ بل اختار الله ورسوله والدار الآخرة . وأسألك أن لا تخبر امرأة من نسائك بالذي قلت . قال « لا تسألني امرأة منهن إلا أخبرتها . إن الله لم يبعثني معنتًا ولا متعنتًا[٤] . ولكن بعثني معلمًا ميسرًا » .

---

(١) مسلم (حديث ١٤٧٨) .

(٢) الواجم : هو الذي اشتد حزنه .

(٣) وجأت عنقها : أي طعنتها في رقبتها .

(٤) معنتًا : مشددًا على الناس وملزمًا لهم بما يشق عليهم ، ومتعنتًا طالبًا زلتهم .

انتقاء الكلمات واختيار الألفاظ والعبارات

وينبغي أن تنتقى الكلمات وتختار الألفاظ والعبارات التي تؤدي إلى الغرض المطلوب فالرفق ما كان في شيء إلا زانه وما نُزع من شيء إلا شانه[1] كما قال الرسول ﷺ ، فالكلمة الواحدة يمكن أن تجلب همًا وغمًا ويمكن أن تبدل بكلمة تجلب انشراحًا وسعادة وها نحن نورد بعض نماذج ذلك .

فرقٌ بين قولك لشخص ضربه آخر وظلمه : أين المضروب ؟ وبين قولك أين صاحب الحق فالمضروب هو صاحب الحق ولكن في قولك له أين المضروب ، أو أنت المضروب مزيدُ إهانة وإذلال لكن في قولك أين صاحب الحق ردٌ للأمور إلى نصابها .

وفرق كذلك بين قولك إذا ناديت قومًا في بيتهم نارٌ موقدة يا أهل النار، ويا أصحاب النار وبين ندائك لهم يا أهل الضوء ! ، أو يا أصحاب النور .

وكذلك ثمَّ فرق بين قولك لرجل تزوج باثنتين من هي الزوجة القديمة وقولك من هي الزوجة الأولى ، أو بين قول الزوج نفسه متحدثًا عن زوجته الزوجة القديمة وبين قوله الزوجة الأولى أم فلان وأم فلان بكنيتها .

وانظر إلى أدب عليٍّ رضي الله عنه ومعه صحابيٌ[2] آخر لما أرسلهما النبي ﷺ للبحث عن الماء فالتقيا بامرأة بين مزادتين ـ أو سطيحتين ـ من ماء على بعيرٍ لها فقالا لها انطلقي إذًا . قالت إلى أين ؟ قالا إلى رسول الله

(١) أخرجه مسلم (حديث ٢٥٩٤) ولفظه : « إن الرفق لا يكون في شيءٍ إلا زانه ولا يُنزع من شيءٍ إلا شانه » .

(٢) الرجل الآخر أشار الحافظ إلى أنه عمران بن حصين رضي الله عنه .

ﷺ ، قالت الذي يُقال له الصابئ ؟ قالا هو الذي تعنين . . الحديث[١] .

فانظر إلى هذا الأدب فلم يقولا لها لا حتى يقعا في الكذب ولم يقولا لها نعم فيكون في مقالتهما إقرارٌ على أنه الصابئ وإن كانت كلمة الصابئ تتحمل جملة إذ الصابئ هو الذي ترك دينه واعتنق دينًا آخر .

ولكن لا يليق بحال وصف النبي ﷺ بأنه صابئ ، فقد استقر في ذهن الناس آنذاك أن من وصف بهذا فهو مذموم ، ولذلك عدل عليٌ رضي الله عنه ومن معه إلى هذه الكلمة (هو الذي تعنين) .

قال الحافظ ابن حجر رحمه الله تعالى[٢] : وفيه أدب حسن ، ولو قالا لها «لا» لفات المقصود ، أو « نعم » لم يحسن ، بهما إذ فيه تقرير ذلك فتخلصا أحسن تخلص .

قلت : فيا سبحان الله من علَّم هؤلاء الأميين هذا العلم ومن أدبهم بهذا الأدب !!!

فالحمد لله على نعمة الإسلام ، وجزى الله خيراً نبينا محمد عليه أفضل صلاة وأتم السلام .

وانظر أيضًا إلى ما في هذه الآية الكريمة ، فقد قال الله تعالى : ﴿ **وَيَوْمَ حُنَيْنٍ إِذْ أَعْجَبَتْكُمْ كَثْرَتُكُمْ فَلَمْ تُغْنِ عَنكُمْ شَيْئًا وَضَاقَتْ عَلَيْكُمُ الأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ ثُمَّ وَلَّيْتُم مُّدْبِرِينَ** ﴾ [التوبة: ٢٥] .

---

(١) البخاري (حديث ٣٤٤) .
(٢) فتح الباري (١ / ٥٣٨) .

فأثبت الله تعالى أن الصحابة يوم حنين ولوا مدبرين ولكن لما سئل البراء رضي الله عنه ترى كيف أجاب ، ففي الصحيح[١] أن البراء بن عازب رضي الله عنهما جاءه رجلٌ فقال له : يا أبا عمارة أتوليت يوم حنين ، فقال أما أنا فأشهد على النبي ﷺ أنه لم يُوَلِّ . . . » .

وفي رواية أفررتم[٢] عن رسول الله ﷺ يوم حنين ؟ فقال لكن رسول الله ﷺ لم يفر . . .

فقد يتوهم السائل من إجابة البراء إذا أجابه بقوله : « نعم فررنا » أن رسول الله ﷺ فرّ معهم ، فأراد البراء أن يدفع هذا التوهم بقوله لكن رسول الله ﷺ لم يفر فنعم هذا الأدب .

وقد قال النووي رحمه الله تعالى . هذا الجواب من بديع الأدب لأن تقدير الكلام فررتم كلكم ؟ فيدخل فيهم النبي ﷺ ، فقال البراء لا والله ما فرّ رسول الله ﷺ .

ومن ذلك قول النبي ﷺ لما بلغه أن خالدًا قتل القوم الذين قالوا صبأنا صبأنا ولم يحسنوا أن يقولوا أسلمنا ، وأمر أيضًا بقتل الأسرى منهم ، فقال النبي ﷺ : « **اللهم إني أبرأ إليك مما صنع خالد** »[٣] .

ففرقٌ بين قول : « **اللهم إني إبرأ إليك من خالد** » ، وقول : « **اللهم إني أبرأ إليك مما صنع خالد** » .

---

(١) البخاري (٤٣١٥) .

(٢) البخاري (٤٣١٧) .

(٣) البخاري (٧١٨٩) .

واللفظة التي تحتمل احتمالات إذا لم يحتج إليها للتعريض ونحوه فاتقها واستعمل غيرها

قال الله جل ذكره : ﴿ **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَقُولُوا رَاعِنَا وَقُولُوا انظُرْنَا وَاسْمَعُوا** ﴾ [البقرة : ١٠٤] فقد ذهب أكثر أهل العلم إلى أن المؤمنين إنما نهوا عن قول راعنا لأن اليهود كانت تستخدم تلك الكلمة للاستهزاء برسول الله ﷺ وسبّه والسخرية والنَّيل منه .

وأخرج الطبري بإسناد حسن[١] إلى قتادة : ﴿ **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَقُولُوا رَاعِنَا وَقُولُوا انظُرْنَا وَاسْمَعُوا** ﴾ [البقرة:١٠٤] ، قولٌ كانت تقوله اليهود استهزاءًا فزجر الله المؤمنين أن يقولوا كقولهم .

---

(١) الطبري (١٧٢٨) .

التنادي بأحب الأسماء

ويستحب لك أن تنادى الناس وتدعوهم بأحب أسمائهم إليهم وأوقعها في أنفسهم ، ولتعتقد ولتوقن أنك بذلك مثابٌ من الله سبحانه وتعالى ثم إن فعلك هذا يُحببك إلى خلق الله عز وجل ويقربك من قلوبهم .

فاعمد إلى كل اسم محبوب إلى النفس وادع الناس به .

ألا ترى أن الملائكة تصعد بنفس المؤمن الطيبة « فلا يمرون بها على ملأٍ من الملائكة إلا قالوا ما هذا الروح الطيب فيقولون فلان بن فلان بأحسن أسمائه التي كانوا يسمونه بها في الدنيا » (١) .

أما الروح الخبيثة فيقول فلان بن فلان بأقبح الأسماء التي كان يسمى بها في الدنيا » (١) .

هذا ، وقد قال الله تبارك وتعالى : ﴿ وَلَا تَنَابَزُوا بِالْأَلْقَابِ بِئْسَ الِاسْمُ الْفُسُوقُ بَعْدَ الْإِيمَانِ ﴾ [الحجرات : ١١] .

أي أنك إذا تنابزت بالألقاب تحولت من مؤمن إلى فاسق وبئس أن تتسمى بفاسق .

---

(١) انظر أحمد في المسند (٤/ ٢٨٧) فهو مطوَّل هنالك وإسناده صحيح .

مراعاة مناسبات الكلام

فكما قال القائل لكل مقام مقال .

فلا تأت في وقت عرس وتحدث الناس بالموت مستدلاً بقول النبي ﷺ : «**أكثروا من ذكر هادم اللذات** »[١] وتاركًا قوله عليه الصلاة والسلام : «**ياعائشة ماذا كان معكم من اللهو فإن الأنصار يعجبهم اللهو** »[٢] .

ومن مراعاة المناسبات كذلك .

قول على رضي الله عنه : كنت رجلاً مذاءًا [٣]، وكنت أستحي أن أسأل النبي ﷺ لمكان ابنته فأمرت المقداد بن الأسود فسأله فقال يغسل ذكره»[٤].

فالاستفتاء جائز مشروع وسؤال الشخص عما يعتريه ويحتاج إليه مستحبٌ ومحمود ، لكن ما دام بالإمكان نيل المراد بأسلوب لا يخدش حياءًا فهو أولى وأليق ، فعليٌ رضي الله عنه متزوج بفاطمة بنت رسول الله ﷺ ورضي الله عنها فحياؤه يمنعه من ذكر ما يتعلق بالجماع أمام أبيها صلوات الله وسلامه عليه .

وأخذ العلماء من ذلك ترك ذكر ما يتعلق بجماع النساء أمام محارمهن

---

(١) أخرجه النسائي (٤/ ٤) بإسناد حسن من حديث أبي هريرة رضي الله عنه مرفوعًا .

(٢) البخاري (مع الفتح ٩ / ٢٢٥) .

(٣) المذاء هو كثير المذي ، والمذي ماءٌ أبيض رقيق لزج يخرج عند شهوة ولا يخرج متدفقًا ولا يتبعه فتور ، ولا تنقضي بخروجه شهوة ، وقد لا يحس الرجل بخروجه وهو في الرجال والنساء ، وقال بعض العلماء إنه في النساء أكثر .

(٤) البخاري (حديث ٢٦٩) ومسلم (حديث ٣٠٣) .

لما فيه من خدشٍ لحياء هؤلاء المحارم .

ولكن إذا وجدت مصلحة شرعية في التعريض بذكر ما يتعلق بالجماع أمام النساء فلا بأس . ومن ذلك : أن عمرو بن العاص كان يسأل زوجة ابنه عن حالها مع زوجها ، قال عبد الله بن عمرو(١) رضي الله عنهما : أنكحني أبي امرأة ذات حسب فكان يتعاهد كنتَّه فيسألها عن بعلها فتقول : نعم الرجل من رجل لم يطأ لنا فراشًا ولم يفتش لنا كنفًا منذ أتيناه ، فلما طال ذلك عليه ذكر للنبي ﷺ فقال : **«القني به »** فلقيته بعد فقال : **« كيف تصوم؟ »** . قلت : أصوم كل يوم . قال: **« وكيف تختم ؟»** قلت : كل ليلة . قال : **« صم في كل شهر ثلاثة أيام واقرأ القرآن في كل شهر »** . قال قلت : أطيق أكثر من ذلك ، قال : **« صم ثلاثة أيام في الجمعة »** . قال قلت : أطيق أكثر من ذلك قال : **« أفطر يومين وصم يومًا»**. قال قلت : أطيق أكثر من ذلك ، قال : **« صم أفضل الصوم صوم داود ، صيام يوم وإفطار يوم ، واقرأ في كل سبع ليال مرةً »** . فليتني قبلت رخصة رسول الله ﷺ ، وذلك أني كبرت وضعفت فكان يقرأ على بعض أهله السبع من القرآن بالنهار والذي يقرؤه يعرضه من النهار ليكون أخف عليه بالليل وإذا أراد أن يتقوى أفطر أيامًا وأحصى وصام مثلهن ، كراهية أن يترك شيئًا فارق النبي ﷺ عليه . قال أبو عبد الله : وقال بعضهم : في ثلاث أو في سبع وأكثرهم على سبع .

---

(١) البخاري (حديث ٥٠٥٢) .

*** مخاطبة الناس على قدر عقولهم .**

وهذا باب من الأهمية بمكان ، فانظر إلى أفهام الأشخاص قبل أن تحدثهم ، ولا تفتن الناس بحديثك ، وانظر ماذا تريد منهم ومن ثمَّ وجِّه الخطاب بالقدر الذي يفهمونه ويتحملونه فحينئذ يُفهم عنك مرادك وتجاب إلى طلبك .

أخرج البخاري[١] من حديث علي رضي الله عنه قال : « **حدثوا الناس بما يعرفون أتحبون أن يُكذَّب الله ورسوله** » .

وفي صحيح مسلم من حديث ابن مسعود رضي الله عنه قال : « **ما أنت بمحدثٍ قومًا حديثًا لا تبلغه عقولهم إلا كان لبعضهم فتنة** »[٢] .

وها هو رسولنا ﷺ يخبر بعض أصحابه ببعض أنواع العلوم دون الآخرين ففي الصحيحين[٣] من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه أن النبي ﷺ ، ومعاذًا رديفه على الرَّحل قال : يا معاذ قال لبيك يا رسول الله وسعديك (ثلاثًا) قال : « **ما من أحد يشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدًا رسول الله صدقًا من قلبه إلا حرَّمه الله على النار** » قال يا رسول الله أفلا أخبر به الناس فيستبشروا ؛ قال : « **إذًا يتكلوا** » . وأخبر بها معاذٌ عند موته تأثمًا[٤] .

---

(١) البخاري (حديث ١٢٧) .

(٢) رواه مسلم « في المقدمة » من طريق عبيد الله بن عبد الله بن عتبة أن عبد الله بن مسعود قال . فذكره . (ترتيب محمد فؤاد ص ١١) .

قلت : وإسناده منقطع ، ومقدمة مسلم ليست على شرط الصحيح .

(٣) البخاري (حديث ١٢٨) ومسلم (حديث ٣٢) .

(٤) أي خشية أن يقع في إثم كتمان العلم ، والله أعلم .

فانظر إلى قوله : « إذاً يتكلوا » وفي الرواية الأخرى[١] « ألا أبشر الناس؟ قال لا إني أخاف أن يتكلوا » ؟!!!

ونحوه في صحيح مسلم من حديث أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي ﷺ أمر أبا هريرة أن يبشر بذلك الناس فلقيه عمر فدفعه ، وقال ارجع يا أبا هريرة ودخل على إثره فقال يا رسول الله لا تفعل فإني أخشى أن يتكل الناس فخلِّهم يعملون فقال : « فخلِّهم »[٢] .

فانظر إلى الكلام النافع الذي ينتفع به الناس فحدثهم به أما الكلام الذي يُفهم على غير وجهه فاتقه واجتنبه وخاصة إذا كان الناس سيقعون في الضرر بسببه .

ولا يُجهر بكل كلام مع الناس

ففي الصحيح عن علقمة قال : كنت مع عبد الله فلقيه عثمان بمنى فقال يا أبا عبد الرحمن إن لي إليك حاجة فخليا[٣] .. الحديث .

فإذا كنت تريد من أحدٍ مسألة خاصة أو توجيها خاصا فلا تجهر بمسألتك ولا بنصيحتك أمام الناس ولكن أسر إليه ما تريد .

وقد أسر النبي ﷺ إلى بعض أزواجه حديثًا .

وأسر رسول الله ﷺ إلى فاطمة ابنته أيضًا بحديث[٤] .

---

(١) البخاري (حديث ١٢٩) ومسلم (حديث ٣٢) .

(٢) مسلم (حديث ٣١ ص ٦١).

(٣) أخرجه البخاري (٦٠٦٥) ومسلم (حديث ١٤٠٠) .

(٤) أخرجه البخاري (حديث ٣٦٢٣) ومسلم (٢٤٥٠) .

مراعاة حرمات
الأوقات والأماكن وأقدار الناس

ولتراعى حرمات الأوقات والأماكن ولينظر إلى أقدار الناس عند الخطاب فقد قال الله تبارك وتعالى : ﴿ **فَمَن فَرَضَ فِيهِنَّ الْحَجَّ فَلا رَفَثَ وَلا فُسُوقَ وَلا جِدَالَ فِي الْحَجِّ** ﴾ [البقرة: ١٩٧] .

وقال عليه الصلاة والسلام : « **إذا كان يوم صوم أحدكم فلا يرفث ولا يصخب ، فإن سابه أحد أو قاتله فليقل إني امرؤ صائم** »(١) .

وقال عمر لمن رفع صوته عند مسجد رسول الله ﷺ : « **ترفعان أصواتكما في مسجد رسول الله ﷺ ، لو كنتما من هذه البلدة لأوجعتكما ضربًا** » .

وقال سبحانه في شأن الحرم : ﴿ **وَمَن يُرِدْ فِيهِ بِإِلْحَادٍ بِظُلْمٍ نُّذِقْهُ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ** ﴾ [الحج: ٢٥] .

وقال تعالى للنساء عند حديثهن مع الرجال : ﴿ **فَلا تَخْضَعْنَ بِالْقَوْلِ فَيَطْمَعَ الَّذِي فِي قَلْبِهِ مَرَضٌ** ﴾ [الأحزاب: ٣٢] .

وقال للرجال مع النساء : ﴿ **وَلَكِن لاَّ تُوَاعِدُوهُنَّ سِرًّا إِلاَّ أَن تَقُولُوا قَوْلاً مَّعْرُوفًا** ﴾ [البقرة: ٢٣٥] .

وقال سبحانه : ﴿ **وَإِذَا قُرِئَ الْقُرْآنُ فَاسْتَمِعُوا لَهُ وَأَنصِتُوا لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ** ﴾ [الأعراف: ٢٠٤] .

وتقدم أيضًا قول الرسول ﷺ لأصغر الرجلين لما ذهب يتكلم « .. **كبِّر كبِّر** ».

---

(١) البخاري (حديث ١٩٠٤) ومسلم (ص ٨٠٧) .

خفض الصوت عند مخاطبة أهل الفضل

وقد قال الله سبحانه وتعالى ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَرْفَعُوا أَصْوَاتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ النَّبِيِّ ﴾ [الحجرات: ٢] .

وقال عروة بن مسعود الثقفي يصف صحابة رسول الله ﷺ مع نبيهم عليه الصلاة والسلام فيقول . . . وإذا تكلموا خفضوا أصواتهم عنده وما يحدُّون إليه النظر تعظيمًا له . . . . . الحديث[١] .

وقد قال لقمان لولده : ﴿ وَاغْضُضْ مِن صَوْتِكَ إِنَّ أَنكَرَ الأَصْوَاتِ لَصَوْتُ الْحَمِيرِ ﴾ [لقمان: ١٩] وكأن هذا كان معهودًا حتى عند أهل الكفر ، فقد قال ـ أمية بن خلف وكان كافرًا ـ لسعد بن معاذ رضي الله لما رفع سعد صوته على أبي جهل لا ترفع صوتك يا سعد على أبي الحكم سيد أهل الوادي[٢] .

---

(١) أخرجه البخاري (٢٧٣١ ، ٢٧٣٢) . وأحيانا يرفع الصوت لحاجة وقد قدمنا نماذج لذلك .

(٢) أخرجه البخاري (٣٩٥٠) من طريق عبد الله بن مسعود رضي الله عنه عن سعد بن معاذ أنه قال : كان صديقًا لأمية بن خلف ، وكان أمية إذا مرّ بالمدينة نزل على سعد ، و كان سعد إذا مرّ بمكة نزل على أُمية . فلما قدم رسول الله ﷺ المدينة انطلق سعد معتمرًا ، فنزل على أمية بمكة ، فقال لأمية : انظر لي ساعة خلوة لعلي أن أطوف بالبيت. فخرج به قريبا من نصف النهار ، فلقيهما أبو جهل فقال : يا أبا صفوان ، من هذا معك ؟ فقال : هذا سعد . فقال له أبو جهل : ألا أراك تطوف بمكة آمنًا وقد أويتم الصُّباة وزعمتم أنكم تنصرونهم وتعينونهم . أما والله لولا أنك مع أبي صفوان ما رجعت إلى أهلك سالمًا . فقال له سعد ـ ورفع صوته عليه ـ : أما والله لئن منعتني هذا لأمنعنك ما هو أشدُّ عليك منه : طريقك على المدينة ، فقال له أمية : لا ترفع صوتك يا سعد على أبي الحكم سيد أهل الوادي . فقال سعدٌ . دعنا عنك يا أمية ، =

ولا تُعد الكلام المُذكر بالأسى والحزن

فإعادة الكلام الذي يذكر بالأسى والألم لا تستحب ، فانظر إلى هذا الجواب من وحشي بن حرب قاتل حمزة ، بعدما أسلم وقدم على رسول الله ﷺ فسأله رسول الله ﷺ فقال له آنت وحشى ؟ ، قال نعم ، قال : أنت قتلت حمزة ؟ قال: قد كان من الأمر ما بلغك[١] .

فلم يُعدْ وحشي ذكر القتل على مسامع رسول الله ﷺ بل قال على وجه الإجمال قد كان من الأمر ما بلغك .

وبنحو هذا أجاب الأنصار لما تكلم بعضهم في قسمة رسول الله ﷺ غنائم حنين فدعاهم رسول الله ﷺ فقال : « ما الذي بلغني عنكم[٢] ؟ » وكانوا لا يكذبون فقالوا هو الذي بلغك . . .

فالكلام المؤذي الذي يُذكِّر بالمآسي والآلام لا يُعاد ولا يكرر أما الكلام

= فوالله لقد سمعت رسول الله ﷺ يقول إنهم قاتلوك . قال : بمكة ؟ قال : لا أدري . ففزع لذلك أمية فزعًا شديدًا . فلما رجع أمية الى أهله قال : يا أمَّ صفوان ، الم ترى ما قال لي سعد ؟ قالت : وما قال لك ؟ قال : زعم أن محمدًا اخبرهم أنهم قاتليَّ . فقلت له: بمكة ؟ قال : لا أدري . فقال أمية : والله لا اخرج من مكة . فلما كان يوم بدر استنفر أبوجهل الناس قال : أدركوا عيركم ، فكره أُمية أن يخرج . فأتاه أبو جهل فقال: يا أبا صفوان إنك متى ما يراك الناس قد تخلفت وأنت سيد أهل الوادي تخلفوا معك. فلم يزل به أبو جهل حتى قال : أما إذ غلبتني فوالله لأشترين أجود بعير ثم قال: يا أم صفوان جهزيني . فقالت له : يا أبا صفوان وقد نسيت ما قال لك أخوك اليثربي ؟ قال : ما أريد أن أجوز معهم إلا قريبًا . فلما خرج أُمية أخذ لا يترك منزلاً إلا عقل بعيره ، فلم يزل بذلك حتى قتله الله عز وجل ببدر » .

(١) البخاري (٤٠٧٢) .

(٢) البخاري (٣٧٧٨) .

الطيب فيعاد ويكرر إذ السامع يحب ذلك ويرغب فيه ومن ثمَّ قال بعض المفسرين لما طُرح سؤالٌ في قول زكريا ﷺ : ﴿ فَهَبْ لِي مِن لَّدُنكَ وَلِيًّا ﴾ [مريم:٥] فلما بُشِّر قال: ﴿ أَنَّىٰ يَكُونُ لِي غُلَامٌ وَكَانَتِ امْرَأَتِي عَاقِرًا ﴾ [مريم:٨] فكيف سأل ،وقد سأل وهو كبير بدلالة قوله : ﴿ إِنِّي وَهَنَ الْعَظْمُ مِنِّي وَاشْتَعَلَ الرَّأْسُ شَيْبًا ﴾ [مريم:٤] ولما بُشر قال : ﴿ أَنَّىٰ يَكُونُ لِي غُلَام ﴾ [مريم:٨] أى كيف سأل ولِمَ تعجب من الإجابة لما أُجيب ؟!!

فأجاب بعض المفسرين بأجوبة منها أنه سأل كى يُعاد عليه التبشير بالغلام، وهذا مما يُسعد ويسرُّ ، والله أعلم .

الأدب فيما يُنقل عن الله سبحانه وتعالى

ويجب أن يتأدب الشخص فيما ينقله عن ربه سبحانه وتعالى ، فينسب إليه كل طيب وجميل ، ويحترز الشخص في ألفاظه في هذا الباب غاية الاحتراز .

وأسوق نماذج وأمثلة أوضح منها مرادي ، وما توفيقي إلا بالله .

يقول الخليل إبراهيم عليه السلام : ﴿ **الَّذِي خَلَقَنِي فَهُوَ يَهْدِينِ (٧٨) وَالَّذِي هُوَ يُطْعِمُنِي وَيَسْقِينِ (٧٩) وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ (٨٠) وَالَّذِي يُمِيتُنِي ثُمَّ يُحْيِينِ** . . ﴾ [الشعراء : ٧٨ ـ ٨١] .

فانظر إلى قوله : يهدين ، ويطعمني ويسقين ويشفين . . . فنسب كل ذلك إلى الله سبحانه وتعالى ، ولكنه لما جاء إلى المرض نسبه إلى نفسه فقال : ﴿ **وإذا مرضت** ﴾ مع أن الله قال : ﴿ **مَا أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ إِلاَّ بِإِذْنِ اللَّهِ** ﴾ [التغابن : ١١] ، ولكن تأدبًا من الخليل إبراهيم عليه السلام نسب الخليل المرض إلى نفسه .

ونحو ذلك قول الخضر لموسى : ﴿ **أَمَّا السَّفِينَةُ فَكَانَتْ لِمَسَاكِينَ يَعْمَلُونَ فِي الْبَحْرِ فَأَرَدتُّ أَنْ أَعِيبَهَا** ﴾ [الكهف : ٧٩] فألصق عيب السفينة بنفسه ، ولكن جاء عند ذكر الجدار فقال : ﴿ **فَأَرَادَ رَبُّكَ أَن يَبْلُغَا أَشُدَّهُمَا وَيَسْتَخْرِجَا كَنزَهُمَا رَحْمَةً مِّن رَّبِّكَ** ﴾ [الكهف : ٨٢] .

ومن ذلك قول النبي ﷺ : « **والشر ليس إليك** » .

* وانظر إلى هذه الدقة التي تنم عن إيمان بالله عزَّ وجل

فحاطب بن أبي بلتعة رضي الله عنه رجل مسلم مهاجري بدريٌّ هاجر

من مكة إلى المدينة ثم إن الرسول ﷺ أراد أمرًا بأهل مكة فأرسل حاطب رسالة إلى أهل مكة يخبرهم فيها بأمر رسول الله ﷺ فأطلع الله نبيه ﷺ على أمر هذه الرسالة فسأل حاطب ما حملك على ما صنعت ؟ فانظر إلى رد حاطب رضي الله عنه وهو يقول : والله ما بي أن لا أكون مؤمنًا بالله ورسوله ﷺ ، أردت أن تكون لى عند القوم يدٌ يدفع الله بها عن أهلي ومالي ، وليس أحد من أصحابك إلا له هناك من عشيرته من يدفع الله به عن أهله وماله »[1] .

فانظر إلى دقته في قوله : « يدفع الله بها عن أهلي ومالي » فاعجب من معرفته بالله فليست اليد ، وليس المعروف الذي يصنعه حاطب بأهل مكة هو الذي يدفع الشر عن أهله وماله ، بل يدفع الله بهذا المعروف . . فحقًا إنه مؤمن مع ما قد صدر منه وبدر .

ومن الجهل أن تهزأ بأوامر الله ، أو أن تنقل خطأ ولو على سبيل المزاح - عن الله عز وجل أو عن رسوله ﷺ .

فليس هذا من شيم الفضلاء ولا من شيم الأتقياء ، بل هو من شيم الجهلاء الأغبياء .

قال الله سبحانه وتعالى : ﴿ **وَلَا تَتَّخِذُوا آيَاتِ اللَّهِ هُزُوًا** ﴾ [البقرة: ٢٣١]

وقال سبحانه : ﴿ **وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَن تَذْبَحُوا بَقَرَةً قَالُوا أَتَتَّخِذُنَا هُزُوًا قَالَ أَعُوذُ بِاللَّهِ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْجَاهِلِينَ** ﴾ [البقرة : ٦٧] .

---

(١) البخاري (٣٩٨٣) .

لفت نظر المخاطب
وجذب انتباهه لاستماع الحديث

وهذا يُحتاج إليه في كثيرٍ من الأحيان ، وخاصة في الأمور الهامة التي يُراد التنبيه عليها أو التحذير منها أو السؤال عنها .

ولذلك طرق ، منها ما يلي :

جذب الانتباه بإثارة سؤالٍ وطرحه .

كقول الله تعالى : ﴿ **قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُم بِالأَخْسَرِينَ أَعْمَالاً** ﴾ [الكهف: ١٠٣]

فيشتاق القارئ والسامع إلى من هم الأخسرون أعمالاً .

فيقول سبحانه : ﴿ **الَّذِينَ ضَلَّ سَعْيُهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا** ﴾ [الكهف: ١٠٤] .

وكذلك قوله تعالى : ﴿ **هَلْ أُنَبِّئُكُمْ عَلَىٰ مَن تَنَزَّلُ الشَّيَاطِينُ (٢٢١) تَنَزَّلُ عَلَىٰ كُلِّ أَفَّاكٍ أَثِيمٍ** ﴾ [الشعراء: ٢٢١ ، ٢٢٢] .

وقد فعل ذلك أيضًا رسول الله ﷺ .

ففي صحيح مسلم[١] من حديث جابر بن عبد الله رضي الله عنهما : أن رسول الله ﷺ مر بالسوق ، داخلاً من بعض العالية ، والناس كنفته[٢]. فمر بجدي أسك[٣] ميت. فتناوله فأخذ بأذنه ، ثم قال : « **أيكم يحب أن**

---

(١) مسلم (حديث ٢٩٥٧) .

(٢) كنفته أي جانبه .

(٣) الأسك هو صغير الأذن .

هذا له بدرهم ؟» فقالوا : ما نحب أنه لنا بشيء . وما نصنع به ؟ قال : «**أتحبون أنه لكم؟**» قالوا: والله! لو كان حيًا ، كان عيبا فيه ، لأنه أسك . فكيف وهو ميت ؟ فقال : «**فوالله ! للدنيا أهون على الله ، من هذا عليكم**» .

فانظر كيف لفت رسول الله ﷺ نظر أصحابه وجذب انتباههم ثم بين لهم حقارة الجدي الميت ، ومن ثمَّ حقارة الدنيا حتى يزهدوا فيها .

ومن جذب الانتباه ولفت النظر بطريقة السؤال أيضا .

قول النبي ﷺ : « أتدرون مالمفلس ؟ »[1].

ثم يجيب الرسول ﷺ بعد ذلك على هذا وقد اشتاقوا إلى معرفة الجواب فيرسخ الجواب في أذهانهم وتثبت الموعظة في قلوبهم بإذن الله .

ومن ذلك قول النبي ﷺ ،وقد قال : « **وفي بضع أحدكم صدقة** » قالوا: يا رسول الله أيأتي أحدنا شهوته ويكون له فيها أجر ؟ قال : «**أرأيتم لو وضعها في حرام أكان عليه وزر ؟ ! قال :« فكذلك إذا وضعها في الحلال كان له أجر** »[2].

ومن ذلك : قول مسروق لعائشة رضي الله عنها لما قالت له : ثلاث من تكلم بواحدة منهن فقد أعظم على الله الفرية ، قال وما هن : قالت من زعم أن محمد رأى ربه فقد أعظم على الله الفرية ، قال : وكنت متكئًا

---

(١) مسلم (حديث ٢٥٨١) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه مرفوعًا .

(٢) مسلم (٢ / ٤٣) من حديث أبي ذر رضي الله عنه .

فجلست فقلت يا أم المؤمنين أنظريني ولا تعجليني[١] . . . ثم ذكر ما أراد رحمه الله .

ومن ذلك قول النبي ﷺ : « **أرأيت إن أخذ الله الثمرة ؟ فبم يستحل أحدكم مال أخيه ؟** »[٢] .

وأحيانا يطرح الشخص سؤالاً هو يعلم إجابته سلفًا ، ولكن هذا الطرح لإفهام الجالسين وتعليمهم ، فقد جاء جبريل وسأل رسول الله ﷺ جملة مسائل ليعلم الناس أمر دينهم كما في صحيح مسلم[٣] من حديث عمر رضي الله عنه الذي فيه بينما نحن عند رسول الله ﷺ ذات يوم إذ طلع علينا رجل شديد بياض الثياب شديد سواد الشعرِ . . . . الحديث وفيه أن النبي ﷺ قال : لعمر أتدري من السائل ؟ قال الله ورسوله أعلم ، قال فإنه جبريل أتاكم يعلمكم دينكم .

ومن ذلك جذب الانتباه ببيان عظيم الأجر وجميل الثواب أو عظيم الذنب وكبير الإثم وذلك قبل بيان الفعل حتى يجذب المستمع والمخاطب ويتشوق إلى سماع هذا الشيء الذي به يُنال الثواب أو يُدرأ العقاب .

ومن ذلك ما يلي :

قوله ﷺ : « **ثلاثة لا يكلمهم الله يوم القيامة ولا ينظر إليهم ولا يزكيهم ولهم عذاب أليم** » فيسأل أبو ذر رضي الله عنه من هم يا رسول الله ويشتاق

---

(١) مسلم (حديث ١٧٧) .

(٢) البخاري (٢١٣٩) ومسلم (١٤١٢) من حديث ابن عمر رضي الله عنهما مرفوعًا .

(٣) مسلم (حديث ٨) .

أبو ذَر إلى معرفتهم فيخبره بهم رسول الله ﷺ فيقول : « **المُسبل والمنان ، والمنفّق سلعته بالحلف الكاذب** »[١] .

*** ومن ذلك تكرير التحذير وتكرير الترغيب والوصية .**

فقد قال النبي ﷺ ألا وقول الزور وشهادة الزور ، ألا وقول الزور وشهادة الزور[٢] فما زال يكررها حتى قال الصحابة ليته يسكت .

ومنه قول النبي ﷺ : « **ما زال جبريل يوصيني بالجار حتى ظننت أنه سيُوَرِّثه** »[٣] .

*** ومن ذلك رفع الصوت الزائد إن احتيج إليه .**

فقد كان النبي ﷺ في سفر ورأى الصحابة يتوضؤون منهم من يُقصِّر في غسل الرجلين إلى الكعبين فنادى بأعلى صوته « ويلٌ للأعقاب من النار »[٤] مرتين أو ثلاثًا .

---

(١) مسلم (حديث ١٠٦) . وسيأتي في تكرير الحديث باب أوسع إن شاء الله .

(٢) أخرجه البخاري (حديث ٨٧) ومسلم (حديث ٨٧) من حديث أبي بكرة رضي الله عنه مرفوعًا .

(٣) أخرجه البخاري (حديث ٦٠١٥) ومسلم (حديث ٢٦٢٤) من حديث عائشة رضي الله عنها مرفوعًا وقوله سيورثه أى يجعل له نصيبًا من الميراث ، وذلك بأمر الله عز وجل .

(٤) البخاري (حديث ٦٠) ومسلم (حديث ٢٤١) من حديث عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما قال تخلَّف عنا النبي ﷺ في سفرةٍ سافرناها فأدركنا وقد أرهقتنا الصلاة ونحن نتوضأ فجلعنا نمسح على أرجلنا فنادى بأعلى صوته « ويلٌ للأعقاب من النار » مرتين أو ثلاثًا .

*** ومن ذلك طلب الإنصات من الناس .**

فقد قال النبي ﷺ لجرير في حجة الوداع « **استنصت الناس** » ثم قال «**لا ترجعوا بعدي كفاراً يضرب بعضكم رقاب بعض** » [(١)] .

ومن ذلك **التثبت من الشخص بشأن ما نُقل عنه** قبل عتابه وتوجيهه فقد قال النبي ﷺ لعبد الله بن عمرو بن العاص : « **ألم أُخبر أنك تصوم الدهر وتقرأ القرآن كل ليلة** » قال عبد الله : فقلت بلى يا نبي الله ،ولم أُرد بذلك إلا الخير ، قال : « **فإن بحسبك أن تصوم من كل شهرٍ ثلاثة أيام** » . . . . الحديث »[(٢)] .

وفي الباب قوله تعالى : ﴿ **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَأٍ فَتَبَيَّنُوا أَن تُصِيبُوا قَوْمًا بِجَهَالَةٍ فَتُصْبِحُوا عَلَىٰ مَا فَعَلْتُمْ نَادِمِينَ** ﴾[الحجرات:٦].

* * *

---

(١) أخرجه البخاري (حديث ١٢١) ومسلم (حديث ٦٥) من حديث جرير بن عبد الله البجلي رضي الله عنه قال : قال لي النبي ﷺ في حجة الوداع استنصت الناس . . . . الحديث .

(٢) أخرجه البخاري (حديث ١٩٧٥)ومسلم (حديث ١١٥٩) .

تهييج مشاعر الناس لفعل الخير

وهذا باب نافع وله أثرٌ طيب وجميل في إثارة الخير في النفوس وحمل الناس على فعل الخير ولهذا طرق .

فأحيانا يكون هذا التهييج بالتذكير بفضل المخاطب وفضل آبائه وأجداده وأقاربه كأن تقول للشخص مثلاً : يا ابن العلماء أبوك رجل عالم وجدك عالم وبيتكم بيت علم ، فأقبل على العلم واحمل لواءه خلفًا لآبائك وأجدادك !

وكأن تقول لمن تريد منه قتال أهل الكفر والعناد : يا ابن الشجعان تقدم فبارز، ويا ابن الأبطال المغاوير تقدم فقاتل .

وكأن تقول لمن تريد منه صدقة على الفقراء : يا ابن المحسنين تصدق ، فجدك الفلاني بنى مسجدًا ، وعمك أنشأ مستشفى لعلاج المرضى ، وأبوك لم يترك بابًا من أبواب الخير إلا وساهم فيه .

فبمثل هذا تهيج مشاعره لأفعال الخير والبر والمعروف والإحسان .

ولهذا أدلته من الكتاب العزيز :

قال الله عز وجل : ﴿ **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تُقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيِ اللَّهِ وَرَسُولِهِ** ﴾ [الحجرات :١] .

فيا من آمنتم بالله وصدقتم رسوله وأقررتم بالبعث وبالحساب وبالجنة والنار ، وآمنتم أن القرآن من عند الله لا تقدموا بين يدي الله ورسوله .

وقال تعالى : ﴿ **ذُرِّيَّةَ مَنْ حَمَلْنَا مَعَ نُوحٍ إِنَّهُ كَانَ عَبْدًا شَكُورًا** ﴾[الإسراء :٣]

أي يا ذرية القوم الصالحين الذي حملهم الله في الفلك مع نبيهم نوح ، اذكروا صلاح آبائكم فما حمل مع نوح إلا مؤمن ، وكونوا شاكرين فإن نوحًا كان عبدًا شكورًا .

ونحوه قوله تعالى : ﴿ **يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ اذْكُرُوا نِعْمَتِيَ الَّتِي أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ وَأَنِّي فَضَّلْتُكُمْ عَلَى الْعَالَمِينَ** ﴾ [البقرة :٤٧] .

فيا أولاد النبي الصالح إسرائيل كونوا صالحين كأبيكم فإني قد فضلتكم على العالمين .

ونحوه قول قوم مريم لمريم : ﴿ **يَا أُخْتَ هَارُونَ مَا كَانَ أَبُوكِ امْرَأَ سَوْءٍ وَمَا كَانَتْ أُمُّكِ بَغِيًّا** ﴾ [مريم:٢٨] .

أي يا أخت الرجل الصالح هارون أخوك هارون رجل صالح وأبوك كذلك كان من الصالحين ولم يكن امرأ سوءٍ ، وأمك كذلك لم تكن زانية فيجدر بك أن تكوني عفيفة وأن تكوني مؤمنة وأن تكوني صالحة ، ولا ينبغي لك أن ترتكبي المحرم الصغير فضلاً عن الكبير . !!!

فهكذا يُخاطب الناس ، يُذكروا بما فيهم وما في آبائهم من خير وصلاح فيحملهم هذا التذكير على إحياء تراث آبائهم وأجدادهم .

أما أن تأتي إلى شخص وتقول له : أبوك فاجر وجدك لصٌ وعمك مفسد وخالك زانٍ ، فهل ترى أن مثل هذا يستجيب لك ؟!!

أو هل تراه يلين في يديك ؟!! أو هل تراه يُحبك ؟!!

ويقول جابر[1] رضي الله عنه في خطابه مع ابن عباس ، لما ذهب إليه

---

(١) الدارمي (١ / ١٤١ ـ ١٤٢) .

ابن عباس يطلب منه علمًا ، : « يا ابن عم رسول الله ما جاء بك؟ ألا أرسلت إليَّ فآتيك؟! فيقول ابن عباس هو الآخر أنا أحق أن آتيك . . . فحقًا إنه أدب .

ونحوه يقول زيد بن ثابت لابن عباس وبنحوه يجيب ابن عباس أيضًا .

يأخذ ابن عباس لزيد بن ثابت رضي الله عنه بالركاب وزيد يقول تنح يا ابن عم رسول الله ﷺ ، وابن عباس يقول : « هكذا نفعل بعلمائنا وكبرائنا»[١] .

والصحابة رضي الله عنهم كذلك كانوا يستعملون هذا النوع من أنواع الإثارة.

فانظر إلى حديث ابن عباس مع الخوارج[٢] وتذكيره لهم بفضل من يحاربونه من طرف خفي بأسلوب رجل واعٍ فاهم ذكي .

قال ابن عباس : ودخلت عليهم في نصف النهار وهم قائلون[٣] فسلمت عليهم فقالوا مرحبًا بك يا ابن عباس فما جاء بك ؟ قلت لهم أتيتكم من عند أصحاب النبي ﷺ وصهره وعليهم نزل القرآن وهم أعلم بتأويله منكم - وليس فيكم منهم أحد - لأبلغكم ما يقولون وتخبرون بما تقولون ، ثم قال لهم أخبروني ماذا نقمتم على أصحاب رسول الله ﷺ وابن عمه .

فانظر إلى قول ابن عباس وإثارته نخوة حب رسول الله ﷺ فيهم ، وأن

---

(١) ابن سعد في الطبقات (٢ / ٢ / ١٦٦) .

(٢) أخرجه النسائي في الخصائص حديث (١٨٥) بسند حسن .

(٣) أى وقت القيلولة .

الذي يقاتلون هو ابن عم رسول الله ﷺ .

ثم انظر إلى مقالة[١] ابن عباس لهؤلاء الخوارج إذ كانوا يريدون سبي المؤمنات ، فقال لهم أتسبون أمكم عائشة وتستحلون منها ما تستحلون من غيرها وهي أمكم ؟!!

فحقًا إنه ذكاءٌ من ابن عباس رضي الله تعالى عنهما .

ومن ذلك أن تذكّر من تخاطب بصلة تربطك به وتجمعك معه ، فيتذكر هذه الصلة ، ومن ثم يلين في يديك - إن أراد الله له ذلك - وقد سلك الأنبياء والفضلاء هذه الطريقة من طرق الخطاب فترى في أقوال كثيرين جدًا منهم قوله : « يا قوم ، ويا قوم » .

وكذلك قال هارون لموسى عليهما السلام : ﴿ **يَا بْنَؤُمَّ لا تَأْخُذْ بِلِحْيَتِي وَلا بِرَأْسِي**﴾ [طه: ٩٤] .

وكذلك قال الخليل إبراهيم عليه السلام لأبيه : ﴿ **يَا أَبَتِ لا تَعْبُدِ الشَّيْطَانَ إِنَّ الشَّيْطَانَ كَانَ لِلرَّحْمَنِ عَصِيًّا (٤٤) يَا أَبَتِ إِنِّي أَخَافُ أَن يَمَسَّكَ عَذَابٌ مِّنَ الرَّحْمَنِ فَتَكُونَ لِلشَّيْطَانِ وَلِيًّا** ﴾ [مريم: ٤٤ - ٤٥] .

وقال رسول الله ﷺ لقومه من قريش : ﴿ **قُل لاَّ أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلاَّ الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَىٰ** ﴾ [الشورى:٢٣] . أي إلا أن تراعوا القرابة التي بيني وبينكم وتوادوني بسبب هذه القرابة .

ويقول في شأن سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه : هذا خالي فليرُني امرؤ خاله .

---

(١) في نفس الحديث السابق .

ويوسف عليه السلام يستعمل رابطة المصاحبة في السجن في الخطاب مع سائليه فيقول لهما : « ﴿ يَا صَاحِبَيِ السِّجْنِ أَأَرْبَابٌ مُّتَفَرِّقُونَ خَيْرٌ أَمِ اللَّهُ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ ﴾ [يوسف:٣٩] .

ويقول أيضا : ﴿ يَا صَاحِبَيِ السِّجْنِ أَمَّا أَحَدُكُمَا فَيَسْقِي رَبَّهُ خَمْرًا وَأَمَّا الآخَرُ فَيُصْلَبُ فَتَأْكُلُ الطَّيْرُ مِن رَّأْسِهِ قُضِيَ الأَمْرُ الَّذِي فِيهِ تَسْتَفْتِيَانِ ﴾

[يوسف: ٤١]

*** وأحيانًا يكون التذكير بمنقبة للناس أو شرفٍ قد حازوه هم أو آباؤهم .**

فمن ذلك قول الرسول ﷺ للعباس يوم حنين : « **أي عباسُ نادِ أصحاب السَّمُرة** » يريد بذلك الأنصار الذين بايعوا تحت الشجرة ، والسمرة هي الشجرة التي بايعوا تحتها بيعة الرضوان .

ففي الصحيح(*) من حديث العباس رضي الله عنه قال : « شهدتُ مع رسول الله ﷺ يوم حنين(١) . فلزمت أنا وأبو سفيان بن الحارث(٢) بن عبدالمطلب رسول الله ﷺ . فلم نفارقه . ورسول الله ﷺ على بغلة له بيضاء(٣) . أهداها له فروة بن نُفاثة الجذامي . فلما التقى المسلمون والكفار،

(*) مسلم (حديث ١٧٧٥) .

(١) (حنين) واد بين مكة والطائف ، وراء عرفات ، بينه وبين مكة بضعة عشر ميلا . وهو مصروف كما جاء به القرآن العزيز .

(٢) (أبو سفيان بن الحارث) أبو سفيان هذا هو ابن عم رسول الله ﷺ . قال جماعة من العلماء: اسمه هو كنيته وقال آخرون : اسمه المغيرة .

(٣) (على بغلة له بيضاء) كذا قال في هذه الرواية ورواية أخرى بعدها إنها بغلة بيضاء . وقال في آخر الباب على بغلته الشهباء . وهي واحدة . قال العلماء : لا يعرف له ﷺ بغلة سواها ، وهي التي يقال لها : دلدل .

ولّى المسلمون مدبرين . فطفق رسول الله ﷺ يركض بغلته[١] قِبَلَ الكفار . قال عباس : وأنا آخذ بلجام بغلة رسول الله ﷺ . أكفها إرادة أن لا تسرع . وأبو سفيان آخذ بركاب رسول الله ﷺ . فقال رسول الله ﷺ : « أى عباس ! ناد أصحاب السمرة»[٢] . فقال ابن عباس (وكان رجلاً صيتًا[٣]) : فقلت بأعلى صوتي : أين أصحاب السمرة ؟ قال : فوالله ! لكأن عطفتهم، حين سمعوا صوتي ، عطفة البقر على أولادها[٤] . فقالوا : يا لبيك ! يا لبيك ! قال : فاقتتلوا والكفار[٥] . والدعوة في الأنصار[٦] . يقولون : يا

---

(١) (يركض بغلته) أى يضربها برجله الشريفة على كبدها لتسرع .

(٢) (أصحاب السمرة) هي الشجرة التي بايع تحتها بيعة الرضوان . ومعناه : ناد أهل بيعة الرضوان يوم الحديبية .

(٣) (صيّتا) أى قوىّ الصوت . ذكر الحازميّ في المؤتلف أن العباس رضي الله تعالى عنه كان يقف على سلع فينادي غلمانه في آخر الليل ، وهم في الغابة ، فيُسمعهم . قال : وبين سلع والغابة ثمانية أميال . نقلاً عن النووي .

(٤) (لكأن عطفتهم حين سمعوا صوتي عطفة البقر على أولادها) أى عودهم لمكانتهم وإقبالهم إليه ﷺ عطفة البقر على أولادها . أى كان فيها انجذاب مثل ما في الأمَّات حين حنّت على الأولاد .

قال النووىّ : قال العلماء : في هذا الحديث دليل على أن فرارهم لم يكن بعيدًا . وأنه لم يحصل الفرار من جميعهم ، وإنما فتحه عليهم من في قلبه مرض من مسلمة أهل مكة المؤلفة ومشركيها الذين لم يكونوا أسلموا . وإنما كانت هزيمتهم فجأة لانصبابهم عليهم دفعة واحدة ، ورشقهم بالسهام . ولاختلاط أهل مكة معهم ممن لم يستقر الإيمان في قلبه وممن يتربص بالمسلمين الدوائر . وفيهم نساء وصبيان خرجوا للغنيمة ، فتقدم أخفاؤهم . فلما رشقوهم بالنبل ولوا فانقلبت أولاهم على أخراهم . إلى أن أنزل الله سكينته على المؤمنين ، كما ذكر الله تعالى في القرآن.

(٥) (والكفار (هكذا هو في النسخ . وهو بنصب الكفار . أى مع الكفار .

(٦) (والدعوة في الأنصار (هى بفتح الدال . يعني الاستغاثة والمناداة إليهم .

معشر الأنصار ! يا معشر الأنصار ! قال : ثم قصرت الدعوة على بني الحارث ابن الخزرج . فقالوا : يابني الحارث بن الخزرج ! يا بني الحارث بن الخزرج ! فنظر رسول الله ﷺ وهو على بغلته ، كالمتطاول عليها ، إلى قتالهم . فقال رسول الله ﷺ : « **هذا حين حمي الوطيس**[١] » . قال : ثم أخذ رسول الله ﷺ حصيات فرمي بهن وجوه الكفار . ثم قال : « **انهزموا ورب محمد !** » قال : فذهبت أنظر فإذا القتال على هيئته فيما أرى . قال : فوالله ! ما هو إلا أن رماهم بحصياته . فما زلت أرى حدَّهم كليلاً [٢] وأمرهم مدبراً .

* ومن التذكير بالمناقب

قول ابن عمر رضي الله عنهما لابن جعفر : « السلام عليك يا ابن ذي الجناحين »[٣] .

ومن ذلك قول النبي ﷺ[٤] لأبي هريرة رضي الله عنه عندما سأله أبو

---

(١) (هذا حين حمي الوطيس) قال الأكثرون : هو شبه تنور يسجر فيه ، ويضرب مثلا لشدة الحرب التي يشبه حرها حره . وقد قال آخرون : الوطيس هو التنور نفسه . وقال الأصمعي : هي حجارة مدورة ، إذا حميت لم يقدر أحد أن يطأ عليها ، فيقال : الآن حمي الوطيس . وقيل : هو الضرب في الحرب . وقيل : هو الحرب الذي يطيس الناس ، أى يدقهم قالوا : وهذه اللفظة من فصيح الكلام وبديعه الذي لم يسمع من أحد قبل النبيّ ﷺ .

(٢) (فما زلت أرى حدهم كليلا) أى ما زلت أرى قوتهم ضعيفة .

(٣) البخاري (حديث ٣٧٠٩) من حديث ابن عمر رضي الله عنهما أنه كان إذا سلم على ابن جعفر قال : « السلام عليك يا ابن ذي الجناحين » .

(٤) أخرجه البخاري (٦٥٧٠) ، (٩٩) .

هريرة رضي الله عنه فقال يا رسول الله من أسعد الناس بشفاعتك يوم القيامة؟ قال : « **لقد ظننت يا أبا هريرة أن لا يسألني عن هذا الحديث أحدٌ أولً منك لما رأيت من حرصك على الحديث ، أسعد الناس بشفاعتي يوم القيامة من قال لا إله إلا الله خالصًا من قبل نفسه ، وفي رواية من قلبه** ».

ويحسن تذكير الناس بحسن مدلولات أسمائهم ومدلولات أشكالهم وبمدلولات قراباتهم

فقد قال النبي ﷺ : « **أسلم سالمها الله ، وغفار غفر الله لها**[١] ، **يريد قبيلتي أسلم وغفار** ».

وكان الصحابة يقولون لابن عباس يا ابن عم رسول الله ألا أرسلت إلينا[٢] .

وتقدم أن الله قال للمؤمنين : ﴿ **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا** ﴾ [الحجرات:٦]، ونحو ذلك .

فإذا قدم عليك شخص مثلا يقال له ناصر فقل له جعلك الله من

---

(١) أخرجه البخاري (٣٥١٤) ومسلم (حديث ٢٥٢١) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه مرفوعًا .

(٢) أخرج الدرامي (السنن ١ / ١٤١ ـ ١٤٢) بإسناد صحيح من حديث ابن عباس رضي الله عنهما قال لما توفى رسول الله ﷺ قلت لرجل من الأنصار : يا فلان هلم فلنسأل أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فإنهم اليوم كثير [١] فقال : واعجبًا لك يا ابن عباس أترى الناس يحتاجون إليك وفي الناس من أصحاب النبي صلى الله عليه واله وسلم من ترى ؟ فترك ذلك وأقبلت على المسألة فإن كان ليبلغني الحديث عن الرجل فآتيه وهو قائل[٢] ، فأتوسد ردائي على بابه فتسفى الريح على وجهي التراب ، فيخرج فيراني فيقول : يا ابن عم رسول الله ما جاء بك ؟ ألا أرسلت إليَّ فآتيك ؟! فأقول : أنا أحق أن آتيك ، فأسأله عن الحديث قال : فبقى الرجل حتى رآني وقد اجتمع الناس عليَّ فقال : كان هذا الفتى أعقل مني . صحيح

---

(١) لفظ مسلم « اللهم فقهه » .

(٢) من القيلولة .

الناصرين لدينه ، أو جآءك شخص يقال له سعد فقل له جعل الله قدومك وقدمك قدم سعد ، أو جآءك من يقال له سهيل فقل له سهل الله بك الأمور، أو قدم عليك من اسمه محمد فقل له ألحقك الله بنبيه محمد ﷺ ، ونحو ذلك .

من جآءك وهو أبيض فقل له اللهم كما بيضت وجهه في الدنيا فبيض وجهه في الآخرة ، ومن جآءك وهو أسمر اللون فقل له حشرك الله مع بلال ابن رباح رضي الله عنه ومن رأيته طويلاً فقل له زادك الله بسطة في العلم والجسم ، ومن رأيته نحيفًا فقل له جمعك الله مع ابن مسعود رضي الله عنه، ونحو ذلك من الكلمات الطيبة التي تترك أثرًا طيبًا في النفس وتذكِّر أيضًا بأئمة الهدى والصلاح من أصحابِ رسول الله ﷺ .

ولا تجلب على الناس شروراً بحديثك

قال يعقوب ﷺ ليوسف عليه السلام : ﴿ يَا بُنَيَّ لا تَقْصُصْ رُءْيَاكَ عَلَىٰ إِخْوَتِكَ فَيَكِيدُوا لَكَ كَيْدًا ﴾ [يوسف :٥] .

وقال النبي ﷺ لما سُحر وكشف الله ما به من ضر: « .... **أما والله فقد شفاني وأكره أن أثير على أحدٍ من الناس شرًا** »[١] .

ولا تجهر بالسوء من القول

قال الله تعالى : ﴿ لا يُحِبُّ اللَّهُ الْجَهْرَ بِالسُّوءِ مِنَ الْقَوْلِ إِلاَّ مَن ظُلِمَ ﴾

[النساء:١٤٨]

وذلك ، والله أعلم ـ لأن الجهر بالسوء من القول يساعد على نشر السوء وتفشيه ويساعد أيضا على نشر الرذيلة ، وفحوى ذلك على وجه الإيجاز أنك إذا سمعت قومًا يتحدثون أن فلانًا قد زنى فإنك تستنكر ذلك وتبغض هذا الزاني ، ثم إن سمعت بعد مدة أن فلانًا ما قد زنى بمحرمه هان عليك أمر الزاني الأول وتحولت كراهيتك للزاني بمحرمه ثم إن سمعت بعد ذلك وانتشر في الناس أن فلانًا ما قد زنى بامرأة على قارعة الطريق أمام المارة نسيت أمر من زنى بمحرمة واتجهت لإنكار ما فُعل أخيرًا وهكذا تهون الخطوب بكثرة ذكرها والخوض فيها .

وقد ذكر بعض أهل العلم أنه كان في بلدة صغيرة ، قرية من القرى ، لا يكاد الخمر يُعرف فيها فإذا سمعوا أن فلانًا ما قد شرب خمرًا أبغضه جميع

(١) أخرجه البخاري (٥٧٦٥) ومسلم (حديث ٢١٨٩) من حديث عائشة رضي الله عنها.

أهل القرية ، فلما انتقل إلى مدينة كبرى ووجد الخمر تباع في الطرقات والحديث عنها متفشيًا قلّت كراهيته لشارب الخمر وهكذا فالحديث في المحرمات يهونها .

فمن ثم كره السوء من القول ، لكن من ظلم له أن ينتصر بقدر مظلمته مع أن عفوه أولى له من الانتصار ، وذلك لقوله تعالى : ﴿ **أَوْ تَعْفُوا عَن سُوءٍ فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ عَفُوًّا قَدِيرًا** ﴾ [النساء:١٤٩] .

وقال سبحانه : ﴿ **إِنَّ الَّذِينَ يُحِبُّونَ أَن تَشِيعَ الْفَاحِشَةُ فِي الَّذِينَ آمَنُوا لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لا تَعْلَمُونَ** ﴾ [النور:١٩] .

وقد تقدم حديث رسول الله ﷺ : « **فليقل خيرًا أو ليصمت** » فهذا أيضًا يمنع من نشر السوء وبثه . والله تعالى أعلم .

ولا تعود لسانك على اللعن والسباب والشتائم

فإن اللعن سبب لدخول النار .

ففي الصحيح أن النساء قلن : « ... ومالنا يا رسول الله أكثر أهل النار ؟ قال : « **تكثرن اللعن**(١) **وتكفرن العشير** ... » .

واللعانون لا يكونون شفعاء ولا شهداء يوم القيامة (٢) كما قال النبي ﷺ .

وقال تعالى : ﴿ **وَلا تَنَابَزُوا بِالأَلْقَابِ بِئْسَ الاسْمُ الْفُسُوقُ بَعْدَ الإِيمَانِ** ﴾ [الحجرات : ١١]

---

(١) مسلم (حديث ٧٩) من حديث ابن عمر رضي الله عنهما مرفوعًا .

(٢) مسلم (حديث ٢٥٩٨) .

ولا تروِّع المؤمنين ولا تفزعهم بكلماتك ، فإن النبي ﷺ نهى عن ترويع المؤمن[1] بل وأذهب عنهم ما يعتريهم من خوف وفزع وقلق ، قال الملائكه لإبراهيم عليه السلام لما قال لهم: ﴿ إِنَّا مِنكُمْ وَجِلُونَ ﴾ [الحجر: ٥٢] قالوا : ﴿ لا تَوْجَلْ ﴾ [الحجر: ٥٣] .

فكم من مزّاحٍ يمزح بالكذب ويُدخل الرّعب على إخوانه ويحسب أنه يُحسن صنعا ، وهو من الآثمين !!!

فاحرص على أن يسلم المسلمون من لسانك فقد قال رسول الله ﷺ : «**المسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده** »[2] .

---

(١) أخرج أبو داود (٥٠٠٤) وأحمد (٥ / ٣٦٢) بإسناد صحيح عن عبد الرحمن بن أبي ليلي قال : حدثنا أصحاب محمد ﷺ أنهم كانوا يسيرون مع النبي ﷺ فنام رجل منهم فانطلق بعضهم إلى حبلٍ معه فأخذه ففزع فقال النبي ﷺ : « **لا يحل لمسلم أن يروع مسلمًا** » .

وعند الترمذي (٢١٦٠) بإسناد صحيح أن النبي ﷺ قال : « **لا يأخذ أحدكم عصا أخيه لاعبًا أو جادًا فمن أخذ عصا أخيه فليردها إليه** » .

(٢) البخاري (حديث ١٠) من حديث عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما مرفوعًا .

ولا تسبق الكبير بالحديث والكلام

فللكبير حقٌّ ، وقد قال النبي ﷺ : « **ليس منا من لم يعرف حق كبيرنا**»

ولما جاء حوِّيصه ومحيَّصه إلى رسول الله ﷺ وذهب محيصه يتكلم قال له النبي ﷺ : « **كبِّر كبِّر** » يريد السن ، فتكلم حوِّيصه ثم تكلم مُحيِّصه»[١] .

وفي الصحيحين[٢] من حديث ابن عمر رضي الله عنهما أن النبي ﷺ قال : «**إن من الشجر شجرة مثلها كمثل المسلم ، فأردت أن أقول : هي النخلة، فإذا أنا أصغر القوم فسكت ، قال النبي ﷺ : « هي النخلة** » .

فانظر إلى قوله : « فإذا أنا أصغر القوم فسكتُّ » !!

وفي رواية أخرى « **فجعلت أُريد أن أقولها فإذا أسنان القوم فأهاب أن أتكلم**» .

وفي صحيح مسلم من حديث سمرة بن جندب[٣] قال : لقد كنت على عهد رسول الله ﷺ غلامًا فكنت أحفظ عنه « **فما يمنعني من القول إلا أن ها هنا رجالاً أسنَّ مني** » .

---

(١) أخرج ذلك البخاري (حديث ٧١٩٢) .
(٢) البخاري (حديث ٧٢) ومسلم (حديث ٢٨١١) .
(٣) مسلم (ص ٦٤٤) .

وأعرض عن الجاهلين

فلا ينبغي للعاقل الحليم الرشيد أن يقابل الجاهل بجهل ولا أن يؤاخذه بقوله .

فقد قال الله سبحانه وتعالى : ﴿ خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ ﴾ [الأعراف : ١٩٩] .

وقال سبحانه : ﴿ وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الْجَاهِلُونَ قَالُوا سَلامًا ﴾ [الفرقان : ٦٣] .

وأخرج البخاري[١] من حديث ابن عباس رضي الله عنهما قال : « قدم عيينة بن حصن بن حذيفة فنزل على ابن أخيه الحرّ بن قيس وكان من النفر الذين يُدنيهم عمر وكان القراء أصحاب مجالس عمر ومشاورته كهولاً كانوا أو شبانًا فقال عيينة لابن أخيه : يا ابن أخي لك وجه عند هذا الأمير فاستأذن لي عليه قال : سأستأذن لك عليه، قال ابن عباس : فاستأذن الحرُّ لعيينة فأذن له عمر فلما دخل عليه قال : هي يا ابن الخطاب فوالله ما تعطينا الجزل ولا تحكم بيننا بالعدل ؛ فغضب عمر حتى همّ به فقال له الحرُّ : يا أمير المؤمنين إن الله قال لنبيه ﷺ : ﴿خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ ﴾ [الأعراف : ١٩٩] وإن هذا من الجاهلين . والله ما جاوزها عمر حين تلاها عليه وكان وقافًا عند كتاب الله » .

وانظر إلى تصرف النبي ﷺ مع هذا الأعرابي الجاهل الذي بال أمام الناس في المسجد .

---

(١) البخاري (حديث ٤٦٤٢) .

أخرج البخاري[١] من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال : قام أعرابي فبال في المسجد ، فتناوله الناس فقال لهم النبي ﷺ : « **دعوه ، وهريقوا على بوله سجلاً**[٢] **من ماء ، أو ذنوبًا من ماء فإنما بعثتم ميسرين ولم تبعثوا معسرين** » .

وأخرج البخاري ومسلم[٣] من حديث أنس بن مالك ـ رضي الله عنه ـ **«أن النبي ﷺ رأى أعرابيًا يبول في المسجد فقال : دعوه ، حتى إذا فرغ دعا بماء فصبه عليه »**[٤] .

---

(١) البخاري (حديث ٢٢٠) .

(٢) السجل هو الدلو الواسع الضخم .

(٣) البخاري (حديث ٢١٩) ومسلم (حديث ٢٨٥) .

(٤) قال الحافظ ابن حجر (فتح الباري ١ / ٣٢٥) : وفيه الرفق بالجاهل وتعليمه ما يلزمه من غير تعنيف إذا لم يكن ذلك منه عنادًا ولا سيما إن كان ممن يحتاج إلى استئلافه وفيه رأفة النبي ﷺ وحسن خلقه .

الحزم في مواقف

وإذا كنت على حق واضح فلا تطمع عدوك فيك بضعف ألفاظك فيطمع فيك عدوك ، ولكن احزم أمرك واقطع على خصمك طمعه في زحزحتك عن الحق.

* فمن هذا الباب قول سحرة فرعون لفرعون لما آمنوا : ﴿ فَاقْضِ مَا أَنتَ قَاضٍ إِنَّمَا تَقْضِي هَذِهِ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا ﴾ [طه : ٧٢] .

* ومن هذا الباب قوله تعالى : ﴿ وَإِن كَانَ كَبُرَ عَلَيْكَ إِعْرَاضُهُمْ فَإِنِ اسْتَطَعْتَ أَن تَبْتَغِيَ نَفَقًا فِي الأَرْضِ أَوْ سُلَّمًا فِي السَّمَاءِ فَتَأْتِيَهُم بِآيَةٍ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَمَعَهُمْ عَلَى الْهُدَىٰ فَلا تَكُونَنَّ مِنَ الْجَاهِلِينَ ﴾ [الأنعام : ٣٥] .

* ومن ذلك قوله تعالى : ﴿ مَن كَانَ يَظُنُّ أَن لَّن يَنصُرَهُ اللَّهُ فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ فَلْيَمْدُدْ بِسَبَبٍ إِلَى السَّمَاءِ ثُمَّ لْيَقْطَعْ فَلْيَنظُرْ هَلْ يُذْهِبَنَّ كَيْدُهُ مَا يَغِيظُ ﴾ [الحج : ١٥] .

* ومن ذلك ما أخرجه البخاري ومسلم من حديث ابن عباس رضي الله عنهما قال : قدم مسيلمة الكذاب على عهد رسول الله ﷺ فجعل يقول : إن جعل لي محمد الأمر من بعده تبعته ، وقدمها في بشرٍ كثير من قومه ، فأقبل إليه رسول الله ﷺ ومعه ثابت بن قيس بن شمّاس وفي يد رسول الله ﷺ قطعة جريد حتى وقف على مُسيلمة في أصحابه ؛ فقال : **لو سألتني هذه القطعة ما أعطيتكها ، ولن تعدو أمر الله فيك ، ولئن أدبرت ليعقرنك الله ، وإني لأراك الذي أُريتُ فيه ما رأيت ، وهذا ثابت يُجيبك عني ثم انصرف عنه** قال ابن عباس فسألت عن قول رسول الله ﷺ إنك أرى الذي أُريت فيه ما أُريت فأخبرني أبو هريرة أن رسول الله ﷺ قال بينما أنا نائمٌ رأيت في يديّ

سوارين من ذهب فأهمني شأنهما فأوحىَّ إلى في المنام أن أنفخهما فنفختهما فطارا ، فأوّلتهما كذابين يخرجان بعدي ، أحدهما العنسي ، والآخر مسيلمة» [١] .

(١) البخاري (حديث ٤٣٧٣) ومسلم (٢٢٧٣) .

ومن صور الحزم أيضا

وبيان تمام الصدق وكمال التحدي

قوله تعالى : ﴿ إِنَّ مَثَلَ عِيسَىٰ عِندَ اللَّهِ كَمَثَلِ آدَمَ خَلَقَهُ مِن تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُ كُن فَيَكُونُ (٥٩) الْحَقُّ مِن رَّبِّكَ فَلَا تَكُن مِّنَ الْمُمْتَرِينَ (٦٠) فَمَنْ حَاجَّكَ فِيهِ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ فَقُلْ تَعَالَوْا نَدْعُ أَبْنَاءَنَا وَأَبْنَاءَكُمْ وَنِسَاءَنَا وَنِسَاءَكُمْ وَأَنفُسَنَا وَأَنفُسَكُمْ ثُمَّ نَبْتَهِلْ فَنَجْعَل لَّعْنَةَ اللَّهِ عَلَى الْكَاذِبِينَ ﴾

[آل عمران : ٥٩_٦١]

وقوله تعالى : ﴿ قُلْ مَن كَانَ فِي الضَّلَالَةِ فَلْيَمْدُدْ لَهُ الرَّحْمَٰنُ مَدًّا ﴾

[مريم : ٧٥]

أو من كان غارقًا في الضلالة منا أو منكم فزاده الله ضلالاً إلى ضلاله وأمدَّه الله مما هو فيه .

ومن صور القوة في التحدي ،قول نوح عليه السلام لقومه : ﴿فَأَجْمِعُوا أَمْرَكُمْ وَشُرَكَاءَكُمْ ثُمَّ لَا يَكُنْ أَمْرُكُمْ عَلَيْكُمْ غُمَّةً ثُمَّ اقْضُوا إِلَيَّ وَلَا تُنظِرُونِ ﴾

[يونس : ٧١]

وإبراهيم الخليل عليه السلام يقول لقومه : ﴿ وَلَا أَخَافُ مَا تُشْرِكُونَ بِهِ إِلَّا أَن يَشَاءَ رَبِّي شَيْئًا ﴾ [الأنعام : ٨٠] .

ولصاحب الحق مقال

فليتحمل صاحب الحق إذا صدرت منه كلمة لا تليق بالمقام .

ففي الصحيح[١] من حديث أبي هريرة رضي الله عنه أن رجلاً تقاضى رسول الله ﷺ فأغلظ له فهمَّ [٢] به أصحابه فقال : دعوه فإن لصاحب الحق مقالاً [٣] واشتروا له بعيرًا فأعطوه إياه ، وقالوا لا نجد إلا سنًا أفضل من سنه، قال : اشتروه فأعطوه إياه فإن خيركم أحسنكم قضاءً .

فليتحمل صاحب الحق ، بل ويُقر المحق على قوله ويُسلِّم له بحقه ولا يُجادل، وهذا باب نافع قاطع للشر ومانع للفساد ومُزيل للكبر الذي هو بطر الحق وغمط الناس ، ولهذا الباب أدلة متعددة من كتاب الله وسنة رسول الله ﷺ .

فمن صور إقرار المحق على قوله ، قوله تعالى : ﴿ **يَسْأَلُونَكَ عَنِ الشَّهْرِ الْحَرَامِ قِتَالٍ فِيهِ قُلْ قِتَالٌ فِيهِ كَبِيرٌ** ﴾ [البقرة:٢١٧] .

وقول النبي ﷺ لما جاء عروة بن مسعود الثقفي في صلح الحديبية وتعرض له المغيرة بن شعبة بعض التعرض ، فقال له عروة يا غُدر ألست أسعى في غدرتك ، وكان المغيره صحب قومًا في الجاهلية فقتلهم وأخذ أموالهم ، فقال الرسول ﷺ ، أما الإسلام فأقبل ، وأما المال فلست منه في شيء[٣] .

---

(١) البخاري (حديث ٢٣٩٠) .

(٢) قوله : (فهمَّ به أصحابه) أى أراد أصحاب رسول الله ﷺ أن يؤذوه بالقول أو الفعل، لكن لم يفعلوا أدبًا مع النبي ﷺ .

وقوله : (فإن لصاحب الحق مقالاً) أى صولة الطلب وقوة الحجة لكن مع مراعاة الأدب المشروع .

(٣) البخاري (حديث ٢٧٣١ ، ٢٧٣٢) .

*** واقرأ هذه المناقشة والمجادلة والمداخلة التي دارت بين أبي هريرة وبين ابن السعيد بن العاص .**

أخرج البخاري في صحيحه[1] من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: أتيت رسول الله ﷺ وهو بخيبر بعدما افتتحوها ، فقلت يا رسول الله أسهم لي ، فقال بعض بني سعيد بن العاص لا تُسهم له يا رسول الله ، فقال أبو هريرة : هذا قاتل ابن قوقل ، فقال ابن سعيد بن العاص : واعجبًا لوبرٍ تدلى علينا من قدوم ضأنٍ ينعى عليّ قتل رجل مسلمٍ أكرمه الله على يديّ ولم يُهنِّي على يديه . .

فاعجب من قوله أكرمه الله على يديّ ولم يُهنِّي على يديه !!

فأبو هريرة رضي الله عنه جاء يطلب من رسول الله ﷺ أن يجعل له سهمًا من غنيمة خيبر ،وابن سعيد بن العاص جالس فقال لا تسهم له يا رسول الله ، فحينئذ ذكر أبو هريرة رضي الله عنه شيئًا عما فعله هذا الرجل قبل إسلامه من قتل ابن قوقل فأجاب الرجل إجابة حسنة بقوله : ينعي عليّ قتل رجل مسلم أكرمه الله على يديّ ولم يهنِّي على يديه ، أي يعيرني بقتل رجل مسلم أكرمه الله على يدي بالشهادة في سبيل الله فدخل الجنة بسببي ، ولم يُهني الله بالموت على الكفر على يد هذا الرجل الذي استشهد !!

أما قوله « واعجبا لوبر » فالوبر : حيوان يشبه السنور أو القط ، أما قوله قدوم ضأن : كأنه يقول من رأس جبل ، ومراده من ذلك أن أبا هريرة رضي الله عنه ليس من قريش ، وجاء يتدخل في الشؤون ويثير ما ليس له أن

(١) البخاري حديث (٢٨٢٧) .

يثيره[١] والله أعلم .

وهذا يجرنا إلى موضوعنا ، وهو الإقرار بالخطأ والتماس وجه الاعتذار إن كان ثمَّ اعتذار .

فالرجل قتل ابن قوقل ، واعترف بذلك ، لكنه أيضا بين مالله سبحانه من فضل في ذلك ، وهذا مما يهوِّن الخطأ .

وهذا نبي الله موسى ﷺ قتل نفسًا لم يؤمر بقتلها ثم خرج من مصر إلى مدين ثم رجع إلى مصر بعد ذلك ، وقد كلمه ربه وآتاه الله النبوة وشرفه بالرسالة فقدم إلى فرعون يدعوه إلى الله ويطلب منه أن يرسل معه قبيلته التي هي بنوا إسرائيل ـ فذكره فرعون ، بل وعيَّره فرعون بفعلته التي هى قتل النفس ، فقال فرعون لموسى : ﴿ **وَفَعَلْتَ فَعْلَتَكَ الَّتِي فَعَلْتَ وَأَنتَ مِنَ الْكَافِرِينَ** ﴾ [الشعراء:١٩] . فما كان من موسى إلا الاعتراف بذلك فقال : ﴿ **فَعَلْتُهَا إِذًا وَأَنَا مِنَ الضَّالِّينَ (٢٠) فَفَرَرْتُ مِنكُمْ لَمَّا خِفْتُكُمْ فَوَهَبَ لِي رَبِّي حُكْمًا وَجَعَلَنِي مِنَ الْمُرْسَلِينَ** ﴾ [الشعراء : ٢٠ ، ٢١] .

فاعترافك وإقرارك بالخطأ لا يجعل لخصمك عليك سبيل ، ثم إنه يُوقف الجدل في باب قد يفتح ويستمر ، ثم إنك قد تلتمس عفو الناس بعد عفو الله بإقرارك بالخطأ واعترافك به .

* * *

(١) ونقل الحافظ ابن حجر (فتح الباري ٨ / ٤٩٢) عن الخطابي قوله : أراد أبان تحقير أبي هريرة وأنه ليس بقدر من يشير بعطاء ولا منع وأنه قليل القدرة على القتال ونقل ابن التين عن أبي الحسن القابسي أنه قال : معناه أنه ملصق في قريش لأنه شبهه بالذي يعلق بوبر الشاه من الشوك وغيره . . . .

تَحَملُ كلماتِ أهل الفضل

وكذلك إذا صدر من أهل الفضل قول ظننت أن فيه نوعًا من أنواع الأذى فتحمله ، فأهل الفضل لا يريدون لك إلا الخير .

فقد تحمل هارونُ عليه السلام موسى ﷺ لما أخذ برأسه يجره إليه ، قال الله عز وجل في شأن موسى عليه السلام : ﴿ وَأَلْقَى الأَلْوَاحَ وَأَخَذَ بِرَأْسِ أَخِيهِ يَجُرُّهُ إِلَيْهِ ﴾ [الأعراف : ١٥٠] ، ﴿ قَالَ يَا بْنَؤُمَّ لا تَأْخُذْ بِلِحْيَتِي وَلا بِرَأْسِي ﴾ [طه : ٩٤] .

ووصف موسى رسول الله محمدًا ﷺ بأنه غلام ، وذلك فيما أخرجه البخاري ومسلم [(١)] من حديث أنس رضي الله عنه عن النبي ﷺ وفيه فأتيت على موسى فسلمت عليه فقال مرحبا بك من أخ ونبي فلما جاوزت بكى ، فقيل ما أبكاك ؟ قال يا رب هذا الغلام الذي بعث بعدي يدخل الجنة من أمته أفضل مما يدخل من أمتي .

ولما قال أبو عبيدة لعمر رضي الله عنهما أفرارًا من قدر الله ؟ فقال عمر لو غيرك قالها يا أبا عبيدة[(٢)] ؟!! فتحملها عمر من أبي عبيدة .

وتحمل عمر[(٣)] مقولة أزواج رسول الله ﷺ لما قلن له : « أنت أفظُّ وأغلظ من رسول الله ﷺ » .

* * *

(١) البخاري (٣٢٠٧) ومسلم (حديث ١٦٤) .
(٢) أخرجه البخاري (٥٧٢٩) ومسلم (٢٢١٩) .
(٣) البخاري (٣٦٨٣) ومسلم (٢٣٩٦) .

إعادة الحديث وتكراره

وإذا احتاج من أمامك إلى إعادة الحديث فعليك بالإعادة حتى يُفهم عنك مرادك ورأى بعض أهل العلم أن منتهى ذلك ثلاثًا ، ورأى آخرون أنه لا مانع من الزيادة على الثلاث إذا لم يفهم من تخاطبه إلا بذلك ، وإن كان أغلب الوارد عن رسول الله ﷺ أنه يكرر ثلاثًا إذا احتاج الأمر إلى ذلك .

ففي الصحيح[١] من حديث أنس رضي الله عنه عن النبي ﷺ أنه كان إذا تكلّم بكلمةٍ أعادها ثلاثا حتى تفهم عنه[٢] .

قال ابن التين : فيه أن الثلاث غاية ما يقع به الاعتذار والبيان .

قلت : وقد نادى النبي ﷺ بأعلى صوته : « **ويل للأعقاب من النار** » مرتين أو ثلاثًا[٣] .

ومن إعادة الكلام وتكريره لتأكيده ما أخرجه مسلم[٤] من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه في قصة مجيء وفد عبد القيس إلى رسول الله ﷺ وقول النبي ﷺ لهم وأنهاكم عن أربع عن الدباء والحنتم ، والمزفت

---

(١) البخاري (حديث ٩٥) .

بوب البخاري لهذا الحديث بباب من أعاد الحديث ثلاثًا ليفهم عنه فقال : « ألا وقول الزور » فما زال يكررها ، وقال ابن عمر قال النبي ﷺ : « هل بلغت ثلاثًا » .

(٢) وقال الحافظ ابن حجر رحمه الله تعالى نبه البخاري بهذه الترجمة على الرد على من كره إعادة الحديث ، وأنكر على الطالب الاستعادة وعده من البلادة قال : والحق أن هذا يختلف باختلاف القرائن ، فلا عيب على المستفيد الذي لا يحفظ من مرةٍ إذا استعاد ولا عذر للمفيد إذا لم يُعد بل الإعادة عليه آكد من الابتداء لأن الشروع مُلزم .

(٣) البخاري (حديث ٩٦) ، وانظر مسلم (ص ٢١٣ ، ٢١٤ ، ٢١٥) .

(٤) مسلم (حديث ١٨) .

وفي الحديث أنهم قالوا ففيم نشرب يا رسول الله ؟ قال : « **في أسقية الأدم**[١] **التي يُلاث** [٢] **على أفواهها** » .

قالوا : يا رسول الله ! إن أرضنا كثيرة الجرذان[٣] . ولا تبقى بها أسقية الأدم فقال نبي الله ﷺ : « **وإن أكلتها الجرذان . وإن أكلتها الجرذان . وإن أكلتها الجرذان** » قال : وقال نبي الله ﷺ لأشج عبد القيس : « **إن فيك لخصلتين يحبهما الله . الحلم والأناة** » .

فنهاهم الرسول ﷺ عن الانتباذ في النقير ، وهو جذع النخلة الذي يُنقر من وسطه ويطرح فيه الماء والتمر فيحصل بذلك تخمر ويؤول الشراب إلى الخمر فنهاهم النبي ﷺ عن ذلك وسد الذريعة الموصلة إلى ذلك بنهيه عليه الصلاة والسلام عن الشرب من هذه الأوعية التي تسرع بالشراب إلى التخمر، فسألوه ففيم نشرب يا رسول الله قال في أسقية الأدم التي يُلاث على أفواهها أى في القرب من الجلد التي يُربط على أفواهها فتعللوا بأن الفئران تأكلها إذ بلادهم كثيرة الفئران فقال راداً عليهم ومكرراً وإن أكلتها الجرذان ، وإن أكلتها الجرذان ،و إن أكلتها الجرذان .

وقال رسول الله ﷺ لأسامة بن زيد رضي الله عنهما : « **أقتلته بعد ما قال لا إله إلا الله ؟** » . قال أسامة فما زال يكررها عليَّ حتى تمنيت أني لم أكن أسلمت قبل ذلك اليوم[٤] .

(١) الأدم جمع أديم ، وهو الجلد المدبوغ .
(٢) يلاث على أفواهها أى يربط على أفواهها .
(٣) الجرذان : الفئران الذكور .
(٤) مسلم (ص ٩٧) .

وقد وردت روايات يُستفاد منها الاقتصار على الثلاث فمن ذلك ما أخرجه البخاري[١] ومسلم من حديث سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ أعطى رهطًا ، وسعد جالس ـ فترك رسول الله ﷺ منهم من لم يعطه . وهو أعجبهم إليَّ . فقلت : يا رسول الله ! مالك عن فلان ؟ فوالله إني لأراه مؤمنا . فقال رسول الله ﷺ : « أو مسلمًا » قال ، فسكت قليلاً . ثم غلبني ما أعلم منه. فقلت : يا رسول الله ! مالك عن فلان . فوالله إني لأراه مؤمنا . فقال رسول الله ﷺ « أو مسلمًا » قال : فسكت قليلا . ثم غلبني ما علمت منه . فقلت : يا رسول الله ! مالك عن فلان ، فوالله إني لأراه مؤمنًا . فقال رسول الله ﷺ « أو مسلمًا . إني لأعطي الرجل وغيره أحبُّ إلى منه . خشية أن يكب في النار على وجهه » .

وفي الصحيحين من حديث جابر بن عبد الله رضي الله عنه قال[٢] : جاء أعرابي إلى النبي ﷺ فبايعه على الإسلام ، فجاء من الغد محمومًا فقال : أقلني، فأبى ـ ثلاث مرار ـ فقال المدينة كالكير تنفي خبثها وَيَنْصَعُ طيبهُا .

ومن حجج القائلين بجواز الزيادةعلى ثلاث إن استدعى المقام ذلك أن الله سبحانه وتعالى قال في كتابه الكريم : ﴿ **وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ** ﴾ [المرسلات:١٥] . في سورة واحدة مرات كثيرة متعددة .

وكذلك في قوله تعالى: ﴿ **فَبِأَيِّ آلاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ** ﴾ [الرحمن:١٣] .

وقد قال قوم نوح لنوح عليه السلام : ﴿ **قَالُوا يَا نُوحُ قَدْ جَادَلْتَنَا فَأَكْثَرْتَ**

(١) البخاري (حديث ٢٧) ومسلم (١٥٠) .
(٢) البخاري (حديث ١٨٨٣) ومسلم (حديث ١٣٨٣) .

جِدَالَنَا﴾ [هود: ٣٢] .

وأيضًا فقد كرر النبي ﷺ مقالته : « **ألا وقول الزور** » حتى قال الصحابة ليته سكت[١] .

فالذي يظهر أن التكرير بحسب حال السائل والمخاطب وبحسب المسألة التي يراد التنبيه عليها وأهميتها ، والله تعالى أعلم .

(١) البخاري (حديث ٥٩٧٦) ومسلم (حديث ٨٧) من حديث أبي بكرة رضي الله عنه مرفوعًا.

﴿ وَلا تَقُولَنَّ لِشَيْءٍ إِنِّي فَاعِلٌ ذَلِكَ غَداً . إِلاَّ أَن يَشَاءَ اللَّه ﴾

فهكذا أمرنا ربنا سبحانه وتعالى ، وقد أكثر ﷺ من قول ذلك ففي الصحيح [١] من حديث عبد الله بن عمرو قال : لما كان رسول الله ﷺ بالطائف قال : « إنا قافلون غداً إن شاء الله . . . الحديث .

وفي الصحيحين[٢] أيضا أن عتبان بن مالك قال : كنت أصلي لقومي فأتيت النبي ﷺ فقلت : إني أنكرت بصرى ، وإن السيول تحول بيني وبين مسجد قومي، فوددت أنك جئت فصليت في بيتي مكانًا حتى اتخذه مصلى فقال أفعل إن شاء الله . . .

وفي الصحيحين[٣] كذلك من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ حين أراد قدوم مكة : « منزلنا غداً إن شاء الله بخيف بني كنانة حيث تقاسموا على الكفر وغير ذلك كثير ، فامتثل أمر ربك : ﴿ وَلا تَقُولَنَّ لِشَيْءٍ إِنِّي فَاعِلٌ ذَلِكَ غَداً (٢٣) إِلاَّ أَن يَشَاءَ اللَّه ﴾ [الكهف: ٢٣ ـ ٢٤]

ولا تكل قوتك إلى نفسك بل احذر من ذلك ورد الأمر والمشيئة لله سبحانه فإبراهيم إمام التوحيد عليه السلام يقول : ﴿ وَلا أَخَافُ مَا تُشْرِكُونَ بِهِ إِلاَّ أَن يَشَاءَ رَبِّي شَيْئًا ﴾ [الأنعام: ٨٠] .

فمع كونه إمام للتوحيد إلا أنه يحترز بقوله : ﴿ وَلا أَخَافُ مَا تُشْرِكُونَ بِهِ إِلاَّ أَن يَشَاءَ رَبِّي شَيْئًا ﴾ [الأنعام: ٨٠] .

وكذلك قال شعيب عليه السلام : ﴿ قَدِ افْتَرَيْنَا عَلَى اللَّهِ كَذِبًا إِنْ عُدْنَا فِي مِلَّتِكُم بَعْدَ إِذْ نَجَّانَا اللَّهُ مِنْهَا وَمَا يَكُونُ لَنَا أَن نَّعُودَ فِيهَا إِلاَّ أَن يَشَاءَ اللَّهُ رَبُّنَا ﴾

[الأعراف: ٨٩]

(١) البخاري (حديث ٦٠٨٦) ومسلم (حديث ١٧٧٨) .
(٢) البخاري (حديث ٨٤٠) .
(٣) البخاري (حديث ١٥٨٩) ومسلم (ص ٩٥٣) .

ولا تُحَجِّروا سعًا

فإذا وُسع عليك في شيء فلا تضيق على نفسك .

فإن الله سبحانه وتعالى أمر بني إسرائيل أن يذبحوا بقرة ،ولو ذبحوا أى بقرة لأجزأتهم ، ولكنهم شددوا فُشدد عليهم ، فقالوا : ﴿ **ادْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّن لَّنَا مَا هِيَ** ﴾ [البقرة:٦٨] ﴿ **ادْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّن لَّنَا مَا لَوْنُهَا** ﴾ [البقرة:٦٩] ﴿ **ادْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّن لَّنَا مَا هِيَ إِنَّ الْبَقَرَ تَشَابَهَ عَلَيْنَا** ﴾ [البقرة: ٧٠] ، وفي كل ذلك يجلبون على أنفسهم أنواعًا من المشقة والعنت .

فإذا كان من أمامك يوسع عليك في الاختيار فلا تضيق على نفسك .

إذا قال لك من أمامك أئتني في أى وقت شئت فلا تقل له لا بل سآتيك في موعد كذا فقط .

إذا قال لك خذ ما شئت فلا تقل له تسأله عن جزيئات تضيق بها على نفسك ما دامت أخذ هذه الجزيئات لن يشق على صاحبك ولن يضيره ولا يكره ذلك منك ونحو هذا ، فلا تحجر واسعًا كما قال النبي ﷺ للأعرابي الذي قال : اللهم ارحمني ومحمداً ولا ترحم معنا أحدًا ، فقال عليه الصلاة والسلام لقد حجرت واسعًا ، يريد رحمة الله[1] .

وكن رحيما بالناس في حديثك معهم ، بل ولقنهم ما ينفعهم ، فهكذا كان رسول الله ﷺ ففي الصحيح من حديث جرير بن عبد الله رضي الله عنه قال : بايعت النبي ﷺ على السمع والطاعة فلقنني « فيما استطعت»[2] .

---

(١) البخاري (حديث ٦٠١٠) .

(٢) مسلم (ص ٧٥) .

ولا تكثر من الحلف والأيمان في خطابك مع الناس

فالإكثار من الحلف شأن أهل الكفر والنفاق ليتستروا وراء أيمانهم ، قال الله تعالى : ﴿ وَلا تُطِعْ كُلَّ حَلاَّفٍ مَّهِينٍ ﴾ [القلم : ١٠] .

وقال تعالى : ﴿ اتَّخَذُوا أَيْمَانَهُمْ جُنَّةً فَصَدُّوا عَن سَبِيلِ اللَّهِ ﴾

[المنافقون : ٢]

وقال تعالى : ﴿ وَاحْفَظُوا أَيْمَانَكُمْ ﴾ [المائدة : ٨٩] .

ولكن إذا دعت الحاجة إلى اليمين فليكن ذلك بقدر ، وإن لم يطلب منك وذلك لنفي تهمة أو لتثبيت حكم أو لبيان مودة ومحبة ونحو ذلك .

***

وأحياناً يُقسم الشخص قبل كلامه ليطمئن من أمامه

فقد جاء خصمان إلى رسول الله ﷺ يطلبان قضاءه ، فقال عليه الصلاة والسلام : « **والذي نفسي بيده لأقضين بينكما بكتاب الله** »(١).

وكذلك لما سرقت المخزومية قال النبي ﷺ : « **وأيمُ الله لو أن فاطمة بنت محمد سرقت لقطع محمد يدها** »(٢) .

وإذا أقسمت فلتكن أيمانك كأيمان رسول الله ﷺ ، وقد قال عليه الصلاة والسلام من كان حالفًا فليحلف بالله أو ليصمت(٣).

ومن أيمان رسول الله ﷺ : «والذي نفسي بيده »(٤) ، ومقلب القلوب»(٥).

فقولك ومقلب القلوب ـ فضلاً عن أنه يمينٌ بالله وقد أقسم به رسول الله ﷺ، فإنه يحمل أيضًا تذكيراً بأن الله يقلب القلوب ، فيحتئذ تسأل الله أن يثبت قلبك على الإيمان ، وتُذكِّر من أمامك بذلك .

وأخرج البخاري ومسلم(٦) من حديث عبد الله بن مسعود رضي الله عنه

---

(١) أخرجه البخاري (حديث ٦٨٢٧ ، ٦٨٢٨) ومسلم (حديث ١٦٩٧ ، ١٦٩٨) .

(٢) أخرجه البخاري (حديث ٦٧٨٨) ومسلم (حديث ١١/١٨٧) .

(٣) البخاري (حديث ٦٦٤٦) ومسلم (حديث ١٦٤٦) من حديث ابن عمر رضي الله عنهما .

(٤) البخاري [حديث ٦٦٣٢) .

(٥) البخاري (حديث ٦٦٢٨) .

(٦) البخاري (حديث ٦٦٧٦) ومسلم (حديث ١٣٨) .

عن رسول الله ﷺ ؛ قال : « من حلف على يمين صبر[١] يقتطع بها مال امرئ مسلم، هو فيها فاجر ، لقى الله وهو عليه غضبان » قال ، فدخل الأشعث بن قيس فقال: ما يحدثكم أبو عبد الرحمن ؟ قالوا : كذا وكذا . قال : صدق أبو عبد الرحمن . فيَّ نزلت : كان بيني وبين رجل أرض باليمن . فخاصمته إلى النبي ﷺ . فقال : هل لك بينة ؟ » فقلت : لا . قال « فيمينه » قلت : إذن يحلف. فقال رسول الله ﷺ ، عند ذلك « من حلف على يمين صبر ، يقتطع بها مال امرئ مسلم ، هو فيها فاجر ، لقى الله وهو عليه غضبان » فنزلت : ﴿ **إِنَّ الَّذِينَ يَشْتَرُونَ بِعَهْدِ اللَّهِ وَأَيْمَانِهِمْ ثَمَنًا قَلِيلاً** ﴾ [آل عمران :٧٧] إلى آخر الآية .

وينبغي أن ينقطع الحديث بعد تقديم الأيمان ، ويوكل ما وراء ذلك إلى الله سبحانه وتعالى فهذا نبي الله عيسى ﷺ رأى رجلاً يسرق ، فقال له أسرقت ؟ قال كلا والله الذي لا إله إلا هو ، فقال عيسى : آمنت بالله وكذبت عيني[٢] .

---

(١) يمين الصبر هي اليمين التي يحبس الحالف نفسه عليها ، وتسمى اليمين الغموس .

(٢) البخاري (حديث ٣٤٤٤) ومحل هذا فيما يتعلق بحق عيسى عليه السلام نفسه ، ومع ذلك فأرى من الأنفع أن أورد أقوال العلماء في هذا الحديث قال الحافظ ابن حجر رحمه الله (فتح الباري ٦/ ٥٦٤ـ ٥٦٥) قال ابن التين : قال عيسى ذلك على المبالغة في تصديق الحالف . وأما قوله « وكذبت عيني » فلم يرد حقيقة التكذيب ، وإنما أراد كذبت عيني في غير هذا ، قاله ابن الجوزي ، وفيه بعد . وقيل إنه أراد بالتصديق والتكذيب ظاهر الحكم لا باطن الأمر وإلا فالمشاهدة أعلى اليقين فكيف يكذب عينه ويصدق قول المدعى؟ ويحتمل أن يكون رآه مد يده إلى الشيء فظن أنه تناوله ، فلما حلف له رجع عن ظنه . وقال القرطبي : ظاهر قول عيسى للرجل « سرقت » أنه خبر جازم عما فعل الرجل من السرقة لكونه رآه أخذ مالا من حرز ، في خفية . وقول =

لا تكثر من الإلحاح على الأشخاص

فإنك تسبب لنفسك حرجًا وتسبب للآخرين حرجًا كذلك فإن هم أعطوك أعطوك عن غير طيب نفس ولم يبارك لك فيما أخذت وإن هم منعوك أُحرجوا أيضا لمنعك وأُحرجت أنت الآخر كذلك وقد يعطونك من الوعود أمام إلحاحك مالا يفون لك به فتؤثمهم وتأثم وأسوق لك واقعة وكيف أكثر صحابي فيها من الكلام مع رسول الله ﷺ وكيف تصرفت عائشة رضي الله عنها مع هذا الصحابي رضي الله عنهم أجمعين .

أخرج البخاري[1] من حديث أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها قالت : « لما جاء قتل زيد بن حارثة وجعفر وعبد الله بن رواحة جلس النبي ﷺ يُعرف فيه الحزن ـ وأنا أطَّلع من شق الباب ـ فأتاه رجل فقال :يا رسول الله إن نساء جعفر ـ وذكر بكاءهن ـ فأمره بأن ينهاهن ، فذهب الرجل ، ثم أتى

= الرجل كلا نفى لذلك ثم أكده باليمين ، وقول عيسى « آمنت بالله وكذبت عيني» أى صدقت من حلف بالله وكذبت ما ظهر لي من كون الأخذ المذكور سرقة فإنه يحتمل أن يكون الرجل أخذ ماله فيه حق ، أو ما أذن له صاحبه في أخذه ، أو أخذه ليقلبه وينظر فيه ولم يقصد الغصب والاستيلاء . قال ويحتمل أن يكون عيسى كان غير جازم بذلك، وإنما أراد استفهامه بقوله سرقت ؟ وتكون أداة الاستفهام محذوفة وهو سائغ كثير انتهى. واحتمال الاستفهام بعيد مع جزمه ﷺ بأن عيسى رأى رجلا يسرق ، احتمال كونه يحل له الأخذ بعيد أيضًا بهذا الجزم بعينه ، والأول مأخوذ من كلام القاضي عياض ، وقد تعقبه ابن القيم في كتابه « إغاثة اللهفان » فقال : هذا تأويل متكلف ، والحق أن الله كان في قلبه أجل من أن يحلف به أحد كاذبًا ، فدار الأمر بين تهمة الحالف وتهمة بصره فرد التهمة إلي بصره ، كما ظن آدم صدق إبليس لما حلف له أنه له ناصح . قلت : وليس بدون تأويل القاضي في التكلف ، والتشبيه غير مطابق والله أعلم .

(١) البخاري (حديث ١٣٠٥) .

فقال : قد نهيتهن ، وذكر أنهن لم يطعنه . فأمره الثانية أن ينهاهن ، فذهب الرجل ، ثم أتى فقال : قد نهيتهن ، وذكر أنهن لم يطعنه . فذهب ثم أتى فقال : والله لقد غلبنني - أو غلبننا ، الشك من محمد بن حوشب - فزعمت أن النبي ﷺ قال : فاحث فى أفواههن التراب . فقلت : أرغم الله أنفك ، فوالله ما أنت بفاعل ، وما تركت رسول الله ﷺ من العناء » .

ولا تنه عن خلقٍ وتأتي مثله

فهذا عارٌ عليك عظيم ، عارٌ عليك أن تأمر الناس بأمر ولا تفعله عارٌ عليك أن تنهى الناس عن شيء وتقع فيه .

فإنك إن فعلت كنت مجالاً للسخرية ومحطًا لازدراء من حولك بك ثم إنك تجلب لنفسك سخط الرب عز وجل قال الله تعالى : ﴿ **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لِمَ تَقُولُونَ مَا لا تَفْعَلُونَ (٢) كَبُرَ مَقْتًا عِندَ اللَّهِ أَن تَقُولُوا مَا لا تَفْعَلُونَ** ﴾

[الصف: ٢ ، ٣]

وقال شعيب عليه السلام لقومه : ﴿ **وَمَا أُرِيدُ أَنْ أُخَالِفَكُمْ إِلَىٰ مَا أَنْهَاكُمْ عَنْهُ إِنْ أُرِيدُ إِلاَّ الإِصْلاحَ مَا اسْتَطَعْتُ** ﴾ [هود:٨٨] .

وقال تعالى : ﴿ **أَتَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبِرِّ وَتَنسَوْنَ أَنفُسَكُمْ وَأَنتُمْ تَتْلُونَ الْكِتَابَ أَفَلا تَعْقِلُونَ** ﴾ [البقرة: ٤٤] .

ونورد هنا بعض أشعار السابقين ، فمنهما :

ما نسب إلى منصور الفقيه وفيه :

إن قومًا يأمروننـــا … بالذي لا يفعلونـــا

لمجانين وإن هـــم … لم يكونوا يصرعونا

وقال أبو الأسود الدؤلي :

لا تنه عن خلقٍ وتأتي مثلـــه … عارٌ عليك إذا فعلت عظيـم

وابدأ بنفسك فانهها عن غيِّهـا … فإن انتهـت عنه فأنت حكيـم

فهناك يُقبل إن وعظت ويُقتـدى … بالقـول منك وينفـع التعليـم

هذا كله فضلاً عن قول رسول الله ﷺ : « **يجاء بالرجل يوم القيامة فيلقى في النار فتندلق أقتابه في النار فيدور كما يدور الحمار برحاه فيجتمع أهل النار عليه فيقولون أى فلان ما شأنك ؟ أليس كنت تأمرنا بالمعروف وتنهانا عن المنكر ؟ قال كنت آمركم بالمعروف ولا آتيه وأنهاكم عن المنكر وآتيه**»[١].

وذمَّ النبي ﷺ الخُلُوف الذين يقولون ما لا يفعلون ويفعلون ما لا يؤمرون فقال عليه الصلاة والسلام فيما أخرجه مسلم في[٢] صحيحه « **ما من نبي بعثه الله فى أمة قبلي إلا كان له من أمته حواريون وأصحاب يأخذون بسنته ويقتدون بأمره ثم إنها تخلُفُ من بعدهم خُلُوف يقولون ما لا يفعلون ، ويفعلون مالا يؤمرون فمن جاهدهم بيده فهو مؤمن ، ومن جاهدهم بلسانه فهو مؤمن ، ومن جاهدهم بقلبه فهو مؤمن ، وليس وراء ذلك من الإيمان حبة خردل** » .

* * *

---

(١) أخرجه البخاري (حديث ٣٢٦٧) من حديث أسامه بن زيد رضي الله عنهما .

(٢) مسلم ص ٧٠ ، وهو حديث (٥٠) من حديث ابن مسعود رضي الله عنه مرفوعًا .

لا تسترسل في الحديث وأنت غضبان

وإذا وصلت في حديثك مع الناس إلى درجة عالية من الغضب فتوقف عن الحديث فالغضب من الشيطان ، والغضب يُحدث نوعًا من الإغلاق على العقل ، وقد قال النبي ﷺ : « **لا يقضين حكم بين اثنين وهو غضبان**»(١) .

والغضب مظنة الخطأ في الأقوال والأفعال فاتق الحديث وقت غضبك وتوضأ واجلس إن كنت واقفًا ، واستلق إن كنت جالسًا وتعوذ بالله من الشيطان الرجيم حتى يذهب عنك الغضب ، بل وإن أردت أن تؤجل الحديث إلى لقاء آخر فافعل، والله المستعان ولا حول ولا قوة إلا بالله .

*** ولا تشوش على من بجوارك أثناء حديثك .**

فقد قال الله سبحانه وتعالى : ﴿ **وَاغْضُضْ مِن صَوْتِكَ إِنَّ أَنكَرَ الأَصْوَاتِ لَصَوْتُ الْحَمِيرِ**﴾ [لقمان:١٩] .

وكان النبي ﷺ يجئ من الليل فيسلِّم تسليمًا لا يوقظ نائمًا ويسمع اليقظان(٢) .

*** ولا تسكت الناس حتى تتكلم أنت .**

فقد قال النبي ﷺ : « **إذا قلت للناس أنصتوا وهم يتكلمون فقد ألغيت**

---

(١) أخرجه البخاري (حديث ١٧٥٨) ومسلم (١٧١٧) من حديث أبي بكرة رضي الله عنه مرفوعًا .

(٢) مسلم (حديث ٢٠٥٥) من حديث المقداد رضي الله عنه مرفوعًا .

على نفسك »[١] .

ففي ذلك نوع أنانية وحبٌ للنفس وتقديم لها على الآخرين وهذا مما ينافي التواضع .

لكن إن كنت ذا منصب وتريد توجيه كلام للرعية الذين تحت يديك ، قد تقدم قول النبي ﷺ لجرير : « استنصت الناس »[٢] .

وكذلك إذا كان هناك أمرٌ من الأمور الهامة يُراد إعلام الناس به فهذا على النحو المذكور كذلك .

ولكن في الجملة وعلى العموم إذا كان الناس يتحدثون فتمهل حتى تستمع لحديثهم وينتهوا منه ثم إذا كان لديك استدراك أو عندك فائدة فتقدم بها فحينئذ يُقبل منك ما تقول .

وإذا كنت ستلقى كلمة في مجمع من المجامع فلك أن ترتبها وتنظمها قبل إلقاءها وتعرف ماذا تريد من الناس وما الذي تريد إخبارهم به

فها هو عمر رضي الله عنه يقول عن نفسه يوم أن ذهب إلى سقيفة بني ساعدة وهناك مجلس الأنصار فقالوا : « أي الأنصار » منا أمير ومنكم أمير فذهب إليهم أبو بكر وعمر بن الخطاب ، وأبو عبيدة بن الجراح فذهب عمر يتكلم فأسكته أبو بكر ،وكان عمر يقول : والله ما أردت بذلك إلا أنى قد هيأت كلامًا قد أعجبني خشيت أن لا يبلغه أبو بكر[٣] .

---

(١) أحمد في المسند (٢ / ٣١٨) بإسناد صحيح .
(٢) البخاري (٧٠٨٠) ومسلم (٦٥) .
(٣) البخاري (حديث ٣٦٦٨) .

وضوح العبارات

وكن واضحًا في مقالاتك وعباراتك مع الناس حتى يفهموا عنك مرادك وقد قال الله تبارك وتعالى : ﴿ وَمَا عَلَى الرَّسُولِ إِلاَّ الْبَلاغُ الْمُبِينُ ﴾ [النور: ٥٤] ، والمبين هو المظهر الموضح .

وقال تعالى: ﴿ قَدْ بَيَّنَّا لَكُمُ الآيَاتِ إِن كُنتُمْ تَعْقِلُونَ ﴾ [آل عمران: ١١٨]

وقد قال الله تعالى: ﴿ قَدْ فَصَّلْنَا الآيَاتِ لِقَوْمٍ يَفْقَهُونَ ﴾[الأنعام: ٩٨]، وقال تعالى : ﴿ وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ ﴾ [القمر: ١٧] .

فاجنح إلى السهولة في الخطاب واليسر فيه والواضح منه وقد قال تعالى: ﴿وَقُل لَّهُمْ فِي أَنفُسِهِمْ قَوْلاً بَلِيغًا ﴾ [النساء: ٦٣] ، وقد وعظ النبي ﷺ أصحابه موعظة بليغة وجلت منها القلوب وذرفت منها العيون ألا ترى إلى مقالات رسول الله ﷺ وكيف هي في غاية السهولة واليسر .

انظر إلى قوله عليه الصلاة والسلام : « من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليقل خيرًا أو ليصمت ، وقوله عليه الصلاة والسلام : « **الكلمة الطيبة صدقة** » إلى غير ذلك من أحاديثه صلوات الله وسلامه عليه فهى سهلة مفهومة يسيره .

المواساة عند الإحتياج إليها

ومن أنواع المواساة قول النبي ﷺ لعائشة لما حاضت وكانت معتمرة وسيدخل عليها الحج وهي حائض فبكت فقال لها النبي ﷺ : « ... **وإنما أنت من بنات آدم كتب عليك ما كتب عليهن** »[1] .

(١) مسلم (ص ٨٧٥) .

وفي رواية : هذا شيء كتبه الله على بنات آدم[(١)] .

* ومن صور المواساة وتذكير الناس بمصائب الآخرين وابتلاءات الآخرين ، قول الله تعالى : ﴿ **فاصبر كما صبر ألوا العزم من الرسل** ﴾ .

وقوله تعالى : ﴿ **ولقد كذبت رسلٌ من قبلك فصبروا على ما كذبوا وأوذوا حتى أتاهم نصرنا** ﴾ .

وليكن الصدق شعارك

نعم فليكن الصدق شعارك في حديثك مع الناس ، فبهذا أمرك ربك سبحانه وتعالى ، قال سبحانه : ﴿ **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ** ﴾ [التوبة: ١١٩] .

وصدقك في كلامك مدعاةٌ لقبول حديثك ألا ترى أن رسول الله ﷺ قال للمشركين : « أرأيتكم لو أخبرتكم أن خيلاً تخرج بسفح هذا الجبل أكنتم مصدقيَّ؟ قالوا : ما جربنا عليك كذبًا »[(٢)] .

وفي رواية أخرى عند البخاري : « أرأيتم لو أخبرتكم أن العدو يُصبحكم أو يمسيكم أماكنتم تصدقونني » قالوا : بلى .

وهرقل لما سأل مشركي مكة عن رسول الله ﷺ فقال لهم : « فهل كنتم تتهمونه بالكذب قبل أن يقول ما قال ؟[(٣)] قال أبو سفيان لا ، فقال هرقل فقد أعرف أنه لم يكن ليذر الكذب على الناس ويكذب على الله .

---

(١) مسلم (ص ٨٧٤) .

(٢) أخرجه البخاري (٤٨٠١) ومسلم (حديث ٢٠٨) .

(٣) البخاري (حديث ٧) .

وكذلك فمن آفات الكذب أنه سبب لرد كُلِّ حديثك حتى الصواب منه، وذلك لأن كذبك يُدخلك في عداد الفساق ، وقد قال ربنا سبحانه وتعالى : ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَأٍ فَتَبَيَّنُوا ﴾ [الحجرات:٦] .

ثم إن أثر الصدق يظهر على الوجه وعلى الشفاه ، وكذلك أثر الكذب.

وقد قال تعالى : ﴿ وَلَوْ نَشَاءُ لَأَرَيْنَاكَهُمْ فَلَعَرَفْتَهُم بِسِيمَاهُمْ وَلَتَعْرِفَنَّهُمْ فِي لَحْنِ الْقَوْلِ﴾ [محمد:٣٠] .

وها هو يعقوب لما أتاه بنوه وقالوا : ﴿ قَالُوا يَا أَبَانَا إِنَّا ذَهَبْنَا نَسْتَبِقُ وَتَرَكْنَا يُوسُفَ عِندَ مَتَاعِنَا فَأَكَلَهُ الذِّئْبُ وَمَا أَنتَ بِمُؤْمِنٍ لَّنَا وَلَوْ كُنَّا صَادِقِينَ (١٧) وَجَاءُوا عَلَىٰ قَمِيصِهِ بِدَمٍ كَذِبٍ قَالَ بَلْ سَوَّلَتْ لَكُمْ أَنفُسُكُمْ أَمْرًا فَصَبْرٌ جَمِيلٌ وَاللَّهُ الْمُسْتَعَانُ عَلَىٰ مَا تَصِفُونَ ﴾ [يوسف:١٧ ، ١٨] . فرد عليهم كذبهم بقوله : ﴿ بَلْ سَوَّلَتْ لَكُمْ أَنفُسُكُمْ أَمْرًا ﴾ [يوسف:١٨] .

ولما أتوه في المرة الثانية بعد أن ذهبوا بأخيهم من أبيهم ورجعوا بدونه ، وقالوا لأبيهم : ﴿ يَا أَبَانَا إِنَّ ابْنَكَ سَرَقَ وَمَا شَهِدْنَا إِلَّا بِمَا عَلِمْنَا وَمَا كُنَّا لِلْغَيْبِ حَافِظِينَ ﴾ [يوسف:٨١] .

ردَّ يعقوب عليهم قولهم أيضًا ـ مع أنهم محقون فيه ـ : ﴿ بَلْ سَوَّلَتْ لَكُمْ أَنفُسُكُمْ أَمْرًا فَصَبْرٌ جَمِيلٌ عَسَى اللَّهُ أَن يَأْتِيَنِي بِهِمْ جَمِيعًا ﴾ [يوسف:٨٣]

فانظر كيف أخذ فكرة عنهم بسبب كذبهم الأول ، فحمله ذلك على رد كلامهم في المرة الثانية ؟!!

فكما قدمنا فمن عقوبات الكاذب العاجلة أن الصدق الذي قد يأتي به

يردُّ مع سائر كذبه ، ولا حول ولا قوة إلا بالله .

ثم إن الكذب مدعاةٌ لسخرية الناس منك ومجلبةٌ للخزي والعار ألا ترى إلى قول خديجة رضي الله عنها لرسول الله ﷺ إنك لتصل الرحم . . وتصدق الحديث[١] .

والكذب يدخلك في عداد أهل النفاق فمن خصال المنافق أنه « **إذا حدث كذب وإذا وعد أخلف ، وإذا ائتمن خان** » . كما قال رسول الله ﷺ[٢] .

وفي صحيح[٣] البخاري من طريق محمد بن زيد بن عمر قال : قال أُناس لابن عمر إنا ندخل على سلطاننا فنقول لهم بخلاف ما نتكلم إذا خرجنا ؟ ، قال: كنا نعدها نفاقًا .

وبصدق الحديث تدفع مصائب ، وتقطع مجادلات ، وتزول إشكالات فصاحب الحق دائم المطالبة بحقه سواء كان في عرضه أو في ماله أو في شيء آخر، فإذا وجد منك تكذيبا لحديثه أو إنكارًا لمقاله فلن يزال قائما لاثبات صدقه ولإبطال كذبك ، لكن قولك الحق وصدقك في الحديث يريح خصمك وقد يحمله على العفو عنك فتنجو في الدارين ، دار الدنيا والدار الآخرة .

ومن ذلك قول كعب بن مالك رضي الله عنه يقول لرسول الله ﷺ ـ لما تخلف كعب عن الغزو ـ إني والله لو جلست عند غيرك من أهل الدنيا لرأيت أن سأخرج من سخطه بعذرٍ ولقد أعطيت جدلاً ، ولكني والله لقد

---

(١) البخاري ـ حديث (٤٩٥٣) ومسلم (حديث ١٦٠) من حديث عائشة رضي الله عنها.

(٢) أخرجه البخاري (حديث ٥٩) ومسلم (حديث ٥٩) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه مرفوعًا بلفظ « آية المنافق ثلاث إذا حدث كذب وإذا وعد أخلف وإذا ائتمن خان » .

(٣) البخاري (٧١٧٨) .

علمت لئن حدثتك اليوم حديث كذب ترضى به عني ليوشكن الله أن يُسخطك عليَّ ، ولئن حدثتك حديث صدقٍ تجدُ عليَّ فيه إني لأرجو فيه عفو الله ، ثم قال كعب : والله ما كان لي من عذر ، والله ما كنت قط أقوى ولا أيسر مني حين تخلفت عنك فقال رسول الله ﷺ : « **أما هذا فقد صدق فقم حتى يقضي الله فيك** »(١) .

ثم إلى ماذا كان مآله بعد ذلك ؟؟ كان مآله إلى عفو الله وإلى توبة الله عليه .

قال الله تعالى : ﴿ **لَقَد تَّابَ اللَّهُ عَلَى النَّبِيِّ وَالْمُهَاجِرِينَ وَالأَنصَارِ الَّذِينَ اتَّبَعُوهُ فِي سَاعَةِ الْعُسْرَةِ مِنْ بَعْدِ مَا كَادَ يَزِيغُ قُلُوبُ فَرِيقٍ مِّنْهُمْ ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ إِنَّهُ بِهِمْ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ (١١٧) وَعَلَى الثَّلاثَةِ الَّذِينَ خُلِّفُوا حَتَّىٰ إِذَا ضَاقَتْ عَلَيْهِمُ الأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ وَضَاقَتْ عَلَيْهِمْ أَنفُسُهُمْ وَظَنُّوا أَن لاَّ مَلْجَأَ مِنَ اللَّهِ إِلاَّ إِلَيْهِ ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ لِيَتُوبُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ** ﴾ [التوبة: ١١٧ ، ١١٨] .

وفضلاً عن ذلك كله فالصدق يهدي إلى البر والبر يهدي إلى الجنة كما قال رسول الله ﷺ (٢) والصادقون ينفعهم صدقهم يوم القيامة ، قال الله سبحانه : ﴿**هَذَا يَوْمُ يَنفَعُ الصَّادِقِينَ صِدْقُهُمْ لَهُمْ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا**

---

(٣) أخرجه البخاري (٤٤١٨) ومسلم) حديث ٢٧٦٩) .

(١) أخرج البخاري (٦٠٩٤) ومسلم (٦٥١٤) من حديث ابن مسعود رضي الله عنه قال قال رسول الله ﷺ : « إن الصدق يهدي إلى البر ، وإن البر يهدي إلى الجنة ، وإن الرجل ليصدق حتى يكتب عند الله صديقًا ، وإن الكذب يهدي إلى الفجور ، وإن الفجور يهدي إلى النار ، وإن الرجل ليكذب حتى يُكتب عند الله كذابًا » .

وفي رواية لمسلم « عليكم بالصدق فإن الصدق يهدي إلى البر ، وإن البر يهدي إلى الجنة وما يزال الرجل يصدق ويتحرى الصدق حتى يكتب عند الله صديقًا وإياكم والكذب فإن الكذب يهدي إلى الفجور وإن الفجور يهدي إلى النار ، وما زال الرجل يكذب ويتحرى الكذب حتى يكتب عند الله كذابا » .

الأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا رَّضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴾ [المائدة: ١١٩]

وقال سبحانه: ﴿ لِيَجْزِيَ اللَّهُ الصَّادِقِينَ بِصِدْقِهِمْ ﴾ [الأحزاب: ٢٤].

والشياطين تتنزل على كل أفاك أثيم، قال تعالى: ﴿ هَلْ أُنَبِّئُكُمْ عَلَىٰ مَن تَنَزَّلُ الشَّيَاطِينُ (٢٢١) تَنَزَّلُ عَلَىٰ كُلِّ أَفَّاكٍ أَثِيمٍ ﴾ [الشعراء: ٢٢١ - ٢٢٣].

فعلى قدر كذب الشخص تمده الشياطين في غيِّه وضلاله، فاتق الله وكن مع الصادقين.

بابٌ في المعاريض

وقد يحتاج الشخص في حديثه مع الناس إلى التعريض وعدم التصريح، وذلك إما لأن التصريح يمنع منه العبد شرعًا كالتصريح بخطبة المتوفى عنها زوجها وهى في عدتها، وأيضًا فقد يجلب الشخص لنفسه حد القذف إذا صرح بما في نفسه ولم يكن عنده بينات، وقد يكون في التصريح نوع فتنة أو كذب أو حرج أو غير ذلك فحينئذ يُتجه إلى التعريض بدلاً من التصريح، وها هي بعض صور ذلك:

* التعريض بالخطبة للمتوفى عنها زوجها:

من المعلوم أن من مات عنها زوجها أنه يحرم على أى شخص أن يتقدم ويُصرح بخطبتها وهى ما زالت في عدتها، وذلك باتفاق المسلمين[1].

ولكن يجوز للشخص أن يُعِّرض ويُلوِّح ويشير إليها ويُشعرها برغبته في الزواج بها بدون تصريح، وقد قال الله تبارك وتعالى: ﴿ وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ

(١) نقل هذا الاتفاق شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله تعالى (مجموع الفتاوى ٣٢ / ٨).
فقال: لا يجوز التصريح بخطبة المعتدة ولو كانت في عدة وفاة باتفاق المسلمين.

﴿ فِيمَا عَرَّضْتُم بِهِ مِنْ خِطْبَةِ النِّسَاء ﴾ [البقرة: ٢٣٥]. وهذه بعض صور التعريض بالخطبة:

أخرج البخاري(١) بإسناده إلى ابن عباس رضي الله عنهما في قوله سبحانه وتعالى : ﴿ فِيمَا عَرَّضْتُم بِهِ مِنْ خِطْبَةِ النِّسَاء ﴾ يقول أني أُريد التزويج ، ولوددت أنه ييسر لي امرأة صالحة .

وأخرج مالك في الموطأ بإسناد صحيح عن القاسم أنه كان يقول في قول الله تبارك تعالى : ﴿ وَلا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِيمَا عَرَّضْتُم بِهِ مِنْ خِطْبَةِ النِّسَاء أَوْ أَكْنَنتُمْ فِي أَنفُسِكُمْ عَلِمَ اللَّهُ أَنَّكُمْ سَتَذْكُرُونَهُنَّ وَلَكِن لاَّ تُوَاعِدُوهُنَّ سِرًّا إِلاَّ أَن تَقُولُوا قَوْلاً مَّعْرُوفًا ﴾ [البقرة: ٢٣٥] ، أن يقول الرجل للمرأة وهي في عدتها من وفاة زوجها : إنك عليَّ كريمة، وإني فيك لراغب ، وإن الله لسائق إليك خيرًا ورزقًا ونحو هذا من القول(٢) .

وأخرج الطبري بإسناد(٣) صحيح عن عبيدة في هذه الآية قال : يذكرها إلى وليِّها ، يقول لا تسبقني بها » .

ومن صور التعريض أيضًا ما أخرجه البخاري(٤) من حديث أنس رضي الله عنه قال : « أقبل نبي الله ﷺ إلى المدينة وهو مردف أبا بكر وأبو بكر شيخ يُعرف ونبي الله ﷺ شاب لا يُعرف قال فيلقى الرجل أبا بكر فيقول : يا أبا بكر من هذا الرجل الذي بين يديك فيقول : هذا الرجل يهديني

(١) البخاري (حديث ٥١٢٤) .
(٢) مالك في الموطأ ص ٥٢٤ .
(٣) الطبري (حديث ٥١٠٥) .
(٤) البخاري (حديث ٣٩١١) .

السبيل، قال فيحسب الحاسب أنه إنما يعني الطريق وإنما يعني سبيل الخير . . .

ومن ذلك أيضًا تعريض عائشة[١] رضي الله عنها ببيان فضلها ، وذلك فيما أخرجه البخاري من حديث عائشة رضي الله عنها فقد قالت : قلت يا رسول الله أرأيت لو نزلت واديًا وفيه شجرة قد أُكل منها ،ووجدت شجرًا لم يؤكل منها في أيها كنت ترتع بعيرك ؟ قال في التي لم يرتع منها ، تعني أن رسول الله ﷺ لم يتزوج بكرًا غيرها .

فعائشة رضي الله عنها تُريد أن تظهر منزلتها عند رسول الله ﷺ ، وفي الوقت نفسه لاتريد أن تقع في اغتياب أحد فسلكت أسلوب التلويح والتعريض رضي الله تعالى عنها .

ومن صور التعريض كذلك إعراض النبي ﷺ عن ذكر الأشخاص بأسمائهم فكان النبي ﷺ إذا رأى من قومٍ شيئًا قال ما بال أقوام ، ففي الصحيح[٢] من حديث عائشة رضي الله عنها قالت : صنع النبي ﷺ شيئًا فرخَّص فيه فتنزه عنه قومٌ فبلغ ذلك النبي ﷺ فخطب فحمد الله ثم قال : ما بال أقوام يتنزهون عن الشيء أصنعه ، فوالله إني لأعلمهم بالله وأشدهم له خشية .

ومع شدة البلاء الذي لحق برسول الله ﷺ من عبد الله بن أُبى بن سلول يصعد النبي ﷺ المنبر فيقول من يعذرني من رجلٍ بلغني أذاه في أهلي فوالله ما علمت على أهلي إلا خيرًا » فلم يذكر النبي ﷺ عبد الله بن أُبي بن

---

(١) البخاري (٥٠٧٧) .

(٢) البخاري (حديث ٦١٠١) .

سلول باسمه حتى قال سعد بن معاذ من هو يا رسول الله ... الحديث[١] .

ومن صور التعريض كذلك ما أخرجه البخاري[٢] من حديث ابن عباس رضي الله عنهما في قصة إبراهيم مع امرأة إسماعيل ، ففي الأثر هناك . . . فجاء إبراهيم بعد ما تزوَّج إسماعيل يُطالع تركته فلم يجد إسماعيل فسأل امرأته عنه فقالت نحن في ضيق وشدة ، فشكت إليه قال فإذا جاء زوجك فاقرئ عليه السلام وقولي له يُغيِّر عتبة بابه ، فلما جاء إسماعيل كأنه أنس شيئًا فقال هل جاءكم من أحد ؟ قالت نعم جاءنا شيخ كذا وكذا فسألنا عنك فأخبرته ،وسألني كيف عيشنا أخبرته أنَّا في جهد وشدة . قال فهل أوصاك بشيء ؟ قالت نعم أمرني أن أقرأ عليك السلام ويقول غيِّر عتبة بابك ، قال ذاك أبي ،و قد أمرني أن أُفارقك . . . الحديث .

وكذلك قول إبراهيم للمرأة الثانية . فإذا جاء زوجك فأقرئ عليه السلام ومُريه يثبت عتبة بابه . . . . وفيه قول إسماعيل ذاك أبى وأنت العتبة وقد أمرني أن أُمسكك .

* ومن ذلك التكنية عن الجماع بما لا يخدش الحياء .

فقد ذكر الله سبحانه وتعالى النكاح في كتابه الكريم مُعبَّرًا عنه بلفظ المساس كما في قوله تعالى : ﴿ **من قَبْلِ أَن تَمَسُّوهُن** ﴾ [البقرة:٢٣٧] وبالغشيان ﴿ **فَلَمَّا تَغَشَّاهَا حَمَلَتْ حَمْلاً خَفِيفًا فَمَرَّتْ بِه** ﴾ [الأعراف:١٨٩] وبالملامسة كما في قوله تعالى : ﴿ **أَوْ لامَسْتُمُ النِّسَاءَ** ﴾ [المائدة:٦] .

---

(١) وذلك في حديث الإفك عند البخاري (٤٧٥٠) ومسلم (حديث ٢٣٨٤) .

(٢) أخرجه البخاري (٣٣٦٤) من حديث ابن عباس رضي الله عنهما .

ومن صور التعريض كذلك ما أخرجه البخاري[١] ومسلم من حديث أبي هريرة رضي الله عنه أن رجلاً أتى النبي ﷺ فقال يا رسول الله وُلد لي غلام أسود فقال هل لك من إبل ؟ قال نعم : قال ما ألوانها ؟ قال حُمر ، قال هل فيها من أورق؟ قال نعم ، قال فأنى ذلك ؟ قال لعلَّه نزعه عرقٌ [٢]، قال فلعل ابنك هذا نزعه عرق.

وعمران بن حصين رضي الله عنه لم يُصرِّح بذكر أمير المؤمنين عمر لما نهى عمر عن المتعة قال عمران لمطرِّف في مرض عمران الذي توفى فيه : إني كنت محدثك بأحاديث لعل الله أن ينفعك بها بعدي فإن عشت فاكتم عني وإن مُت فحدِّث بها إن شئت ، إنه قد سُلِّم عليَّ [٣]، واعلم أن نبي الله ﷺ قد جمع بين حجٍ وعمرة ثم لم ينزل فيها كتاب الله ولم ينه عنها نبي الله ﷺ قال رجل فيها برأيه ما شاء[٤] .

فلم يصرح عمران بإسم عمر رضي الله عنهما

*** وانظر إلى هذا الأدب في التعبير عما في النفس .**

ففي الصحيح[٥] من حديث أبي جحيفة رضي الله عنه أن النبي ﷺ آخى

---

(١) البخاري (حديث ٥٣٠٥) ومسلم (حديث ١٥٠٠) .

(٢) المراد بالعرق هنا الأصل من النسب ، ومعنى نزعه أشبهه واجتذبه إليه وأظهر لونه عليه، وأصل النزع الجذب ، فكأنه جذبه إليه لشبهه يقال منه نزع الولد لأبيه أو إلى أبيه ونزعه أبوه ، نقلا عن النووي (ترتيب محمد فؤاد) .

(٣) يعني أن الملائكة كانت تسلِّم عليه فلما اكتوى تركت الملائكة السلام عليه ثم لما ترك الكى عادت الملائكة للسلام عليه (مسلم ص ٨٩٩) .

(٤) أخرجه مسلم (ص ٨٩٩) .

(٥) البخاري (حديث ١٩٦٨) .

بين سلمان وأبي الدرداء ، فزار سلمان أبا الدرداء فرأى أم الدرداء متبذلة فقال لها ما شأنك ؟ قالت : أخوك أبو الدرداء ليس له حاجة في الدنيا .. الحديث .

أم الدرداء متبذلة لا تتزين ولا تهتم بنفسها ولا بثيابها ، فسألها عن سبب ذلك فأجابت بإجابة حسنة تنم عما في نفسها ، وفي نفس الوقت تثني على زوجها الذي لا يجامعها ولايهتم بالنظر إليها فقالت بأسلوب مؤدب ومهذب : أخوك أبو الدرداء ليس له حاجة في الدنيا (٤).

تفهم مدلولات الخطاب

وينبغي أن تفهم مدلولات خطاب من يخاطبك .

فقد قال الله سبحانه وتعالى عن قوم من أهل النفاق : ﴿ **قَدْ بَدَتِ الْبَغْضَاءُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ وَمَا تُخْفِي صُدُورُهُمْ أَكْبَرُ قَدْ بَيَّنَّا لَكُمُ الآيَاتِ إِن كُنتُمْ تَعْقِلُونَ** ﴾ [آل عمران: ١١٨] .

وقال سبحانه : ﴿ **وَلَتَعْرِفَنَّهُمْ فِي لَحْنِ الْقَوْلِ** ﴾ [محمد: ٣٠] .

فللناس طرقٌ في التعبير عما في أنفسهم وليسوا جميعا على نسقٍ واحد في التعبير عما في أنفسهم ، فمنهم من يعبّر عما في نفسه صراحة ، ومنهم من ترى ما في قلبه على وجهه ومنهم من يومئ ويشير إشارات فقط ، ومنهم من يخرج ما في نفسه رغمًا عنه وتنم كلماته عما في نفسه من خير أو شر ، فشخص امتلأ صدره وقلبه حبًا لك فتسمع كلمات المودة والمحبة تخرج رغما

---

(١) ويظهر أن هذا قبل نزول آية الحجاب إذ المؤاخاة بين المهاجرين والأنصار كانت في بداية هجرة النبي ﷺ ، والله أعلم .

عنه وبلا تكلف في كثير من الأحيان .

وآخر امتلأ صدره غيظًا وحنقًا وغلاً وحقدًا ، ترى كلماته خارجة رغما عنه أيضا كما قال تعالى : ﴿**قَدْ بَدَتِ الْبَغْضَاءُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ وَمَا تُخْفِي صُدُورُهُمْ أَكْبَرُ**﴾ [آل عمران:١١٨] .

فعليك حينئذ أن تفهم مدلولات الخطاب وتتعامل على ضوء ما تسمع وتقطع في الأمور على ضوء ما تتيقن به .

وقد قال رسول الله ﷺ لعائشة رضي الله عنها : « **إني لأعرف غضبك ورضاك** » قالت وكيف ذاك يا رسول الله ؟ قال : « **إنك إذا كنت راضية قلت بلى ورب محمد ، وإذا كنت ساخطة قلت : لا ورب إبراهيم** » قالت قلت : أجل لا أهجر إلا اسمك .

وفي رواية : « **إني لأعلم إذا كنت عليَّ راضية وإذا كنت عليَّ غضبي..**»(١) فحقًا إنه أدبٌ جمٌ في التعبير عما في النفس .

وهذا والدها أبو بكر رضي الله تعالى عنه يسمع النبي ﷺ يخطب فقال النبي ﷺ في خطبته : « **إن الله خيرَّ عبداً بين الدنيا وبين ما عنده فاختار ما عند الله فبكى أبو بكر ، قال أبو سعيد الخدري : فقلت في نفسي ما يبكي هذا الشيخ إن يكن الله خيرَّ عبداً بين الدنيا وبين ما عنده فاختار ما عند الله ؟ فكان رسول الله ﷺ هو العبد ، وكان أبو بكر أعلمنا قال : يا أبا بكر لا تبك إن أمنَّ الناس عليَّ في صحبته وماله أبو بكر ولو كنت متخذًا خليلا لاتخذت أبا بكر خليلا**

---

(١) البخاري (حديث ٦٠٧٨ ، ٥٢٢٨) ومسلم (٤ / ١٨٩٠) .

ولكن أُخوَّة الإسلام ومودته »[١] .

فرضي الله عن أبي بكر كيف فهم أن الرسول ﷺ يودعهم ويختار ما عند الله، فتذكر أبو بكر الفراق ، وفهم أن أجل رسول الله ﷺ قد اقترب فبكى رضى الله تعالى عنه .

ولك أيضا أن تغيِّر في أسلوب خطابك حتى يفهم عنك المراد

فنبينا ﷺ كان يدخل على عائشة رضي الله عنها لما أفاض الناس في قول أصحاب الإفك ، قالت عائشة ولا أشعر بشيء من ذلك وهو يريبني في وجعي أني لا أعرف من رسول الله ﷺ اللطف الذي كنت أرى منه حين أشتكى[٢] ، إنما يدخل عليَّ رسول الله ﷺ فيسلم ثم يقول : « كيف تيكم » ثم ينصرف فذاك الذي يريبني ولا أشعر بالشر ً . . . . . الحديث[٣] .

مُداراة من في خُلُقه شيء

فبذئ الأخلاق يُداري ويُتقى شره ويدفع بلاؤه إما بالسكوت عنه وإما بإلانة القول له لاتقاء فحشه .

أخرج البخاري ومسلم [٤] من حديث عائشة رضي الله عنها أن رجلاً

---

(١) البخاري (حديث ٤٤٦) من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه .

(٢) فقد كانت عائشة رضي الله عنها مريضة ولا تعلم ما يدور على ألسنة الناس في شأنها .

(٣) أخرجه البخاري (٤٧٥٠) ومسلم (٢٧٧٠) .

(٤) البخاري (٦٠٣٢) ومسلم (٢٥٩١) .

استأذن على النبي ﷺ فقال : « ائذنوا له فلبئس ابن العشيرة[1] ، أو بئس

(١) قال النووي رحمه الله تعالى (في شرح مسلم) ، قال القاضي : هذا الرجل هو عيينة ابن حصن ، ولم يكن أسلم حينئذ ، وإن كان قد أظهر الإسلام ، فأراد النبي ﷺ أن يبين حاله ليعرفه الناس ولا يغتر به من لم يعرف حاله قال : وكان منه في حياة النبي ﷺ ما دل على ضعف إيمانه ، وارتد مع المرتدين ، وجيء به أسيراً إلى أبى بكر رضي الله عنه ، ووصف النبي ﷺ بأنه بئس أخو العشيرة ، من أعلام النبوة ، لأنه ظهر كما وصف ، وإنما آلان له القول تألفًا له ولأمثاله على الإسلام .

وفي هذا الحديث مداراة من يتقي فحشه ، وجواز غيبة الفاسق المعلن فسقه ، ومن يحتاج الناس إلى التحذير منه ،وقد أوضحناه قريبًا في باب الغيبة ،ولم يمدحه النبي ﷺ ولا ذكر أنه أثنى عليه في وجهه ولا في قفاه ، إنما تألفه بشيء من الدنيا مع لين الكلام، وأما بئس ابن العشيرة أو رجل العشيرة فالمراد بالعشيرة قبيلته ، أي بئس هذا الرجل منها .

وقال الحافظ ابن حجر رحمه الله (فتح الباري ١٠ / ٤٥٤١) :

قال الخطابي : جمع هذا الحديث علمًا وأدبًا وليس في قول النبي ﷺ في أمته بالأمور التي يسميهم بها ويضيفها إليهم من المكروه غيبة ، وإنما يكون ذلك من بعضهم في بعض ، بل الواجب عليه أن يبين ذلك ويفصح به ويعرف الناس بأمره ، فإن ذلك من باب النصيحة والشفقة على الأمة ،ولكنه لما جبل عليه من الكرم وأعطيه من حسن الخلق أظهر له البشاشة ولم يجبه بالمكروه لتقتدى به أمته في اتقاء شر من هذا سبيله ، وفي مداراته ليسلموا من شره وغائلته .

قلت : (ابن حجر) : وظاهر كلامه أن يكون هذا من جملة الخصائص ، وليس كذلك بل كل من اطلع من حال شخص على شيء وخشي أن غيره يغتر بجميل ظاهره ليقع في محذور ما فعليه أن يطلعه على ما يحذر من ذلك قاصدًا نصيحته ، وإنما الذي يمكن أن يختص به النبي ﷺ أن يكشف له عن حال من يغتر بشخص من غير أن يطلعه المغتر على حاله فيذم الشخص بحضرته ليتجنبه المغتر ليكون نصيحة بخلاف غير النبي ﷺ فإن جواز ذمه للشخص يتوقف على تحقق الأمر بالقول أو الفعل ممن يريد نصحه .

وقال القرطبي : في الحديث جواز غيبة المعلن بالفسق أو الفحش ونحو ذلك من الجور =

رجل العشيرة فلما دخل عليه آلان له القول قالت عائشة فقلت يا رسول الله! قلت له الذي قلت، ثم ألنت له القول ؟ قال : « **يا عائشة ، إن شر الناس منزلة عند الله يوم القيامة من وَدَعَه ، أو تركه الناس اتقاء فحشه** » .

وأخرج البخاري ومسلم[١] من حديث المسور بن مخرمة أنه قال :

« **قسم رسول الله ﷺ أَقْبِيَةً[٢] ولم يعط مخرمة شيئًا ، فقال مخرمة : يابني! انطلق بنا إلى رسول الله ﷺ . فانطلقت معه قال : ادخل فادعه لي . قال : فدعوته له . فخرج إليه وعليه قباء منها . فقال : « خبأت هذا لك » فقال : فنظر إليه فقال : «رضي مخرمة »** .

وفي رواية في الصحيح أيضًا : **قدمت على النبي ﷺ أقبية فقال لي أبي ،**

= في الحكم والدعاء إلى البدعة مع جواز مداراتهم اتقاء شرهم ما لم يؤد ذلك إلى المداهنة في دين الله تعالى .

ثم قال تبعا لعياض والفرق بين المداراة والمداهنة : أن المداراة بذل الدنيا لصلاح الدنيا أو الدين أو هما معا ، وهي مباحة ، وربما استحبت ، والمداهنة ترك الدين لصلاح الدنيا ، والنبي ﷺ إنما بذل له من دنياه حسن عشرته والرفق في مكالمته ومع ذلك فلم يمدحه بقول فلم يناقض قوله فيه فعله ، فإن قوله فيه قول حق ، وفعله معه حسن عشرة ، فيزول مع هذا التقرير الإشكال بحمد الله تعالى .

وقال عياض : لم يكن عيينة والله أعلم حينئذ أسلم ، فلم يكن القول فيه غيبة ، أو كان أسلم ولم يكن إسلامه ناصحًا فأراد النبي ﷺ أن يبين ذلك لئلا يغتر به من لم يعرف باطنه ، وقد كانت منه في حياة النبي ﷺ ، وبعده أمور تدل على ضعف إيمانه فيكون ما وصفه به النبي ﷺ من جملة علامات النبوة ، وأما إلانة القول له بعد أن دخل فعلى سبيل التألف له ثم ذكر نحو ما تقدم . وهذا الحديث أصل في المداراة وفي جواز غيبة أهل الكفر والفسق ونحوهم والله أعلم .

(١) البخاري (حديث ٢٥٩٩) ومسلم (١٠٥٨) .

(٢) الأقبية جمع قباء وهو يلبس فوق الثياب .

مخرمة : انطلق بنا إليه عسى أن يعطينا منها شيئًا . قال : فقام أبي على الباب فتكلم . فعرف النبي ﷺ صوته فخرج ومعه قباءٌ . وهو يريه محاسنه . وهو يقول : « خبأت هذا لك . خبأت هذا لك » .

وفي رواية للبخاري[(١)] « **وكان في خلقه شيء** » .

وأخرج البخاري[(٢)] ومسلم من حديث أنس بن مالك - رضي الله عنه قال : « كنت أمشي مع رسول الله ﷺ وعليه بُردٌ نجراني غليظ الحاشية فأدركه أعرابي فجبذ بردائه جبذة شديدة ، قال أنس : فنظرت إلى صفحة عاتق النبي ﷺ وقد أثرت فيها حاشية الرداء من شدة جبذته ثم قال : يا محمد ، مر لي من مال الله الذي عندك . فالتفت إليه فضحك ثم أمر له بعطاء » .

وفي صحيح مسلم[(٢)] من حديث عمر بن الخطاب - رضي الله عنه - قال

---

(١) البخاري (حديث ٦١٣٢) من طريق ابن أبي مليكة .

قال الحافظ ابن حجر رحمه الله (فتح الباري ١٠ / ٥٢٨) :

« المداراة من أخلاق المؤمنين ، وهي خفض الجناح للناس ولين الكلمة وترك الإغلاظ لهم في القول وذلك من أقوى أسباب الألفة ، والفرق أن المداهنة من الدهان وهو الذي يظهر على الشيء ويستر باطنه ، وفسرها العلماء بأنها معاشرة الفاسق وإظهار الرضا بما هو فيه من غير إنكار عليه .

والمداراة هي الرفق بالجاهل في التعليم وبالفاسق في النهي عن فعله ، وترك الإغلاظ عليه حيث لا يظهر ما هو فيه ، والإنكار عليه بلطف القول والفعل ، ولا سيما إذا احتاج إلى تألفه ونحو ذلك .

(٢) البخاري (حديث ٦٠٨٨) ومسلم (حديث ١٠٥٧) .

(٣) مسلم (حديث ١٠٥٦) .

: قسم رسول الله ﷺ قسمًا فقلت : والله يا رسول الله لغير هؤلاء كان أحق به منهم ، قال : « **إنهم خيروني أن يسألوني بالفحش أو يُبَخِّلوني فلست بباخل**»[(١)].

إمعان النظر في كتاب الله لاستخراج آداب التخاطب

وأرجو منك أخي القارئ أن تمعن النظر في كتاب الله وأن تستخرج منه هذه الآداب الجميلة الحسنة آداب التخاطب مع الناس وها هى طائفة من ذلك :

انظر إلى قول يوسف لإخوته لما أتوه شاكين إليه ما أصابهم من الضر قائلين : ﴿ **يَا أَيُّهَا الْعَزِيزُ مَسَّنَا وَأَهْلَنَا الضُّرُّ وَجِئْنَا بِبِضَاعَةٍ مُّزْجَاةٍ فَأَوْفِ لَنَا الْكَيْلَ وَتَصَدَّقْ عَلَيْنَا إِنَّ اللَّهَ يَجْزِي الْمُتَصَدِّقِينَ** ﴾ [يوسف:٨٨] قال الصديق يوسف عليه السلام : ﴿ **هَلْ عَلِمْتُم مَّا فَعَلْتُم بِيُوسُفَ وَأَخِيهِ إِذْ أَنتُمْ جَاهِلُونَ**﴾[يوسف:٨٩] . هكذا نبههم بهذا الأسلوب المؤدي للغرض ، ولم يسبُّ يوسف ولم يلعن ولم يبذو عليهم مع ما أصابه بسببهم من ضُرٍ وما أصابه بسببهم من فراقٍ لأبيه وما أصاب والده كذلك بسببهم ، وما أصابه كذلك من رقٍ واستعباد ثم انظر إلى قوله وهم يقولون له : ﴿ **أَئِنَّكَ لَأَنتَ يُوسُفُ** ﴾ [يوسف : ٩٠] فيقول عليه الصلاة والسلام : ﴿ **أَنَا يُوسُفُ وَهَذَا**

---

(١) المعنى ـ والله أعلم ـ إنهم ألجئوني واضطروني بإلحاحهم وإلحافهم وفحشهم وكثرة طلبهم إلى أحد أمرين ، إما أن أمنعهم فيصفوني بأنني بخيل ، وإما أن أعطيهم مع كونهم ليسوا أهلاً فاخترت أن لا أكون بخيلاً .

﴿أَخِي قَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَيْنَا إِنَّهُ مَن يَتَّقِ وَيَصْبِرْ فَإِنَّ اللَّهَ لا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ﴾ [يوسف: ٩٠] فحقًا إنه تواضع أيما تواضع ، وأدبٌ جم غزير، واعتراف بالفضل لمسديه والمنعم به والمتفضل به سبحانه وتعالى .

ثم هو تعليم لإخوانه وإرشاد لمن جاء بعده : ﴿ إِنَّهُ مَن يَتَّقِ وَيَصْبِرْ فَإِنَّ اللَّهَ لا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ ﴾ [يوسف: ٩٠] .

ثم انظر إلى قولهم : ﴿ تَاللَّهِ لَقَدْ آثَرَكَ اللَّهُ عَلَيْنَا وَإِن كُنَّا لَخَاطِئِينَ ﴾ [يوسف: ٩١] . فبم يجيبهم يوسف ﷺ ؟ يقول عليه الصلاة والسلام : ﴿لا تَثْرِيبَ عَلَيْكُمُ الْيَوْمَ يَغْفِرُ اللَّهُ لَكُمْ وَهُوَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ ﴾ [يوسف: ٩٢] .

لا تعيير ولا توبيخ ولا لوم عليكم من بعد اليوم ، فصلى الله على نبيه يوسف الكريم وعلى نبينا وسلم !!!

ثم ها هو يوسف يحقق ما وعد به ، فلما دخل عليه أبوه ماذا قال ، قال : ﴿يَا أَبَتِ هَذَا تَأْوِيلُ رُءْيَايَ مِن قَبْلُ قَدْ جَعَلَهَا رَبِّي حَقًّا وَقَدْ أَحْسَنَ بِي إِذْ أَخْرَجَنِي مِنَ السِّجْنِ وَجَاءَ بِكُم مِّنَ الْبَدْوِ مِنْ بَعْدِ أَن نَّزَغَ الشَّيْطَانُ بَيْنِي وَبَيْنَ إِخْوَتِي إِنَّ رَبِّي لَطِيفٌ لِّمَا يَشَاءُ إِنَّهُ هُوَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ ﴾ [يوسف: ١٠٠] .

فلم يذكر فعل إخوته به من إلقاء في غيابات الجب إنما أوجز إيجازًا لطيفًا فقد وعد إخوانه أنه لا تثريب عليهم، فقال من بعد أن نزغ الشيطان بيني وبين إخوتي إن ربي لطيف لما يشاء . .

فحقًا إنه أدب ! ، ولكن أين المتأدبون به !!!

وانظر إلى أدب الطلب في قول موسى عليه السلام للخضر : ﴿ هَلْ أَتَّبِعُكَ عَلَىٰ أَن تُعَلِّمَنِ مِمَّا عُلِّمْتَ رُشْدًا ﴾ [الكهف: ٦٦] .

وأدب الرد في قول الخضر : ﴿ إِنَّكَ لَن تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا ﴿٦٧﴾ وَكَيْفَ تَصْبِرُ عَلَىٰ مَا لَمْ تُحِطْ بِهِ خُبْرًا ﴾ [الكهف: ٦٧ ، ٦٨] .

ثمَّ إلى قول موسى عليه السلام : ﴿ سَتَجِدُنِي إِن شَاءَ اللَّهُ صَابِرًا وَلَا أَعْصِي لَكَ أَمْرًا ﴾ [الكهف : ٦٩] . فحقا إنه أدب جم وخلق قويم .

فيستأذن الكليم موسى عليه السلام الخضر في إتباعه للتعلم .

ثم يومئ إلى الخضر أن هذا العلم من الله سبحانه فكما علمك الله فعلِّم الناس ، ولكن هذا بأسلوب في غاية من الذكاء وحلةٍ من الوقار في قوله : ﴿ مِمَّا عُلِّمْتَ رُشْدًا ﴾ .

ثم إن الخضر هو الآخر يلتمس العذر لموسى عليه السلام بعد أن يُذكِّره بأن صبره سينفذ ، وذلك بقوله ملتمسًا العذر لموسى : ﴿ وَكَيْفَ تَصْبِرُ عَلَىٰ مَا لَمْ تُحِطْ بِهِ خُبْرًا ﴾ [الكهف: ٦٨] . فأراد الخضر أن يبين لموسى سبب عدم الصبر ، إنه ليس قصوراً من موسى عليه السلام ، ولا في عقلية موسى عليه السلام فموسى عليه السلام نبي كريم من أولى العزم من الرسل، والأنبياء هم أذكى الخلق وأكمل الخلق عقولاً وأوسعهم صبراً ، ولكن ثمَّ علمٌ علمه الله للخضر لا يعلمه موسى عليه السلام كما قال الخضر لموسى : « يا موسى إنك على علم من علم الله علمكه الله لا أعلمه ، وأنا على علم من علم الله علَّمنيه لا تعلمه »[1] .

فحقًا إنه أدب من العالم وأدب من المتعلم وحسن خطاب من الجميع

---

(١) أخرجه البخاري (٤٧٢٥) ومسلم (٢٣٨٠) من حديث أُبي بن كعب رضي الله عنه مرفوعًا.

عليهم السلام !!!

وانظر إلى أمر الله سبحانه وتعالى لنبيه ﷺ في شأن الضعفاء الفقراء : ﴿وَإِذَا جَاءَكَ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِآيَاتِنَا فَقُلْ سَلامٌ عَلَيْكُمْ كَتَبَ رَبُّكُمْ عَلَىٰ نَفْسِهِ الرَّحْمَةَ أَنَّهُ مَنْ عَمِلَ مِنكُمْ سُوءًا بِجَهَالَةٍ ثُمَّ تَابَ مِنْ بَعْدِهِ وَأَصْلَحَ فَأَنَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ [الأنعام : ٥٤] .

من الذي يقول السلام عليكم هل القادم ؟ أم المستقبل ؟

إن الذي يلقى السلام هو القادم كما هو معهود ، ولكنها حفاوة بالغةٌ ومزيد اهتمام بهؤلاء المؤمنين الفقراء الضعفاء[١] .

وكذلك فاستمع إلى أجوبة الأنبياء عليهم السلام وردودهم على اتهامات أقوامهم فقوم نوح يقولون لنوح عليه السلام : ﴿ إِنَّا لَنَرَاكَ فِي ضَلالٍ مُّبِينٍ ﴾ [الأعراف : ٦٠] فيجيبهم بقوله : ﴿ يَا قَوْمِ لَيْسَ بِي ضَلالَةٌ وَلَكِنِّي رَسُولٌ مِّن رَّبِّ الْعَالَمِينَ ﴾ [الأعراف : ٦١] .

وقوم هود يقولون لهود عليه السلام : ﴿ إِنَّا لَنَرَاكَ فِي سَفَاهَةٍ وَإِنَّا لَنَظُنُّكَ مِنَ الْكَاذِبِينَ ﴾ [الأعراف : ٦٦] فيجيبهم بقوله : ﴿ يَا قَوْمِ لَيْسَ بِي سَفَاهَةٌ وَلَكِنِّي رَسُولٌ مِّن رَّبِّ الْعَالَمِينَ ﴾ [الأعراف : ٦٧] .

---

(١) فالآية والتي قبلها نزلت فيهم ، ففي صحيح مسلم (١٥ / ١٨٧) من حديث سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه قال : كنا مع النبي ﷺ ستة نفر فقال المشركون للنبي ﷺ اطرد هؤلاء لا يجترئون علينا ، قال : وكنت أنا وابن مسعود ورجلٌ من هُذيل وبلال ورجلان لست أسميهما، فوقع في نفس رسول الله ﷺ ما شاء الله أن يقع فحدث نفسه فأنزل الله عز وجل : ﴿ وَلَا تَطْرُدِ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ... ﴾ [الأنعام : ٥٢ ـ ٥٤] .

وفرعون يسأل موسى سؤالاً كي يحرجه أمام الأقوام ويثير الأقوام عليه فيسأله فرعون عن مصير القرون الأولى وآباء هؤلاء الأقوام الذين ماتوا على الشرك فيقول لموسى : ﴿ **قَالَ فَمَا بَالُ الْقُرُونِ الْأُولَىٰ** ﴾ [طه:٥١] فيجيب موسى بإجابة هي حق ولكنها لا تحمل على الإثارة والفتنة فيقول موسى عليه السلام : ﴿ **عِلْمُهَا عِندَ رَبِّي فِي كِتَابٍ لَّا يَضِلُّ رَبِّي وَلَا يَنسَى** ﴾ [طه:٥٢] ثم يبين نعم الله بقوله : ﴿**الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ مَهْدًا وَسَلَكَ لَكُمْ فِيهَا سُبُلًا وَأَنزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجْنَا بِهِ أَزْوَاجًا مِّن نَّبَاتٍ شَتَّىٰ ﴿٥٣﴾ كُلُوا وَارْعَوْا أَنْعَامَكُمْ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّأُولِي النُّهَىٰ** ﴾ [طه:٥٣ ، ٥٤] .

فحقًا إن علم هؤلاء عند ربي في كتاب لا يضل ربي ولا ينسى . حقًا : ﴿**تِلْكَ أُمَّةٌ قَدْ خَلَتْ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَلَكُم مَّا كَسَبْتُمْ وَلَا تُسْأَلُونَ عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ** ﴾ [البقرة:١٤١] .

فلا معنى إذن للجدال في شأنها ما دام الجدال ليس من ورائه كبير طائل فقد أفضت إلى ما قدمت وثُوِّبت ما كانت تفعل .

ويكره للمستأذن أن يقول أنا

وذلك إذا قال له صاحب البيت (من) فيكره حينئذ للمستأذن أن يقول أنا دون أن يُفصح عن هويته ، بل عليه أن يفصح عن هويته ويبين شخصيته فيقول مثلا (فلان) أو (أنا فلان) فإن شاء صاحب البيت أن يأذن أذن ، وإن شاء أن يترك الإذن ترك .

وقد أخرج البخاري ومسلم من حديث جابر رضي الله عنه قال : أتيت النبي ﷺ في دين كان على أبي فدققت الباب فقال من ذا ؟ فقلت أنا فقال أنا أنا كأنه كرهها [١] .

إن من البيان لسحراً

هكذا قال النبي ﷺ ففي الصحيح[٢] من حديث ابن عمر رضي الله عنهما قال قدم رجلان من المشرق فخطبًا فعجب الناس لبيانهما ، فقال رسول الله ﷺ : « **إن من البيان لسحرًا ، أو إن بعض البيان سحرٌ** » .

فالبيان وهو ما يفصح به الشخص عما في نفسه ـ بيانان بيان بالقلم وبيان باللسان ، وثمَّ أنواع أُخر من البيان لكن لقلتها لا نعرج عليها كالبيان بالإشارة ونحو ذلك .

وقد امتن الله سبحانه على الإنسان إذ علمه البيان ، فقال سبحانه : ﴿**خَلَقَ الإِنسَانَ ۝٣ عَلَّمَهُ الْبَيَانَ**﴾ [الرحمن:٣ ، ٤] وقال سبحانه : ﴿**الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ**﴾ [العلق :٤] .

---

(١) البخاري (حديث ٦٢٥٠) ومسلم (حديث ٢١٥٥) .

(٢) البخاري (حديث ٥٧٦٧) .

وقد يبالغ الشخص في الوصف ويسترسل في الحديث بطريقة تقنع من يستمع إليه بقبول حديثه والاستماع له والإنصات ، وذلك بتزيين الكلام وتحسين العبارات وتحبير الألفاظ ، وكل ذلك بإذن الله .

وحكم ذلك يختلف باختلاف المقاصد ، فإذا كان الشخص يزين الكلام ويُحسِّن العبارات ويُحبِّر الألفاظ لتقرير الحق ففعله محمود وسعيه مشكور أما إذا كان هذا التحسين والتحبير لتزيين الباطل وقلب المعروف منكرًا والمنكر معروفًا ولإهدار الحقوق ، فهذا فعلٌ مذموم ، وفاعله من إخوان الكهان كما قال رسول الله ﷺ ، ففي الصحيحين[1] من حديث أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قضى في امرأتين من هُذيل اقتتلتا ، فرمت إحداهما الأخرى بحجر ، فأصاب بطنها وهي حامل ، فقتلت ولدها الذي في بطنها، فاختصموا إلى النبي ﷺ ، فقضى أن دية ما في بطنها غُرَّةٌ عبدٌ أو أمة. فقال وليُّ المرأة التي غرمت : كيف أغرم يا رسول الله من لا شرب ولا أكل ، ولا نطق ولا استهل ، فمثل ذلك يطل . فقال النبي ﷺ : إنما هذا من إخوان الكهان » .

وكما قال عليه الصلاة والسلام : « **إنكم تختصمون لديَّ ولعل بعضكم أن يكون ألحن بحجته من بعض فأقضى له على نحو مما أسمع منه، فمن قطعت له من حق أخيه شيئًا فلا يأخذه ، فإنما أقطع له به قطعة من النار** »[2] .

---

(١) البخاري (حديث ٥٧٥٨) ومسلم (ص ١٣١٠) وفي بعض روايات الصحيح أسجع كسجع الأعراب .

(٢) البخاري (حديث ١٧٨١) ومسلم (١٧١٣) .
قال الحافظ ابن حجر رحمه الله تعالى (فتح طبعة الريان ١٠ / ٢٢٩) :
قوله : (إنما هذا من إخوان الكهان) أى لمشابهة كلامه كلامهم ، زاد مسلم والإسماعيلي من رواية يونس « من أجل سجعه الذي سجع » قال القرطبي : هو من =

فاحذر يا عبد الله أن تذهب بالحق بأسلوبك العذب الميسر الساحر ، واحذر أيضا أن تفتن بأسلوب غيرك فتقع في المحرمات وتذهب عندك حقوق الناس سدىً وتعطي أقوامًا ما ليس لهم ولا هو من حقهم .

وفي سنن الترمذي[١] بإسناد حسن عن عبد الله بن عمرو أن رسول الله ﷺ قال : « إن الله يبغض البليغ من الرجال الذي يتخلل بلسانه كما تتخلل البقرة .

ومن أدب الخطاب مع النساء

والحديث مع النساء ينبغي أن يكون للضرورة فإنهن فتنة وخضوعهن بالقول يُطمع الذي في قلبه مرض .

قال النبي ﷺ : « **ما تركت بعدي فتنة أضرَّ على الرجال من النساء**»[٢] .

= تفسير الراوي ، وقد ورد مستند ذلك فيما أخرجه مسلم في حديث المغيرة بن شعبة «فقال رجل من عصبة القاتلة يغرم » فذكر نحوه وفيه « فقال رسول ﷺ أسجع كسجع الأعراب » ؟ والسجع هو تناسب آخر الكلمات لفظًا، وأصله الاستواء ؛ وفي الاصطلاح الكلام المقفى والجمع أسجاع وأساجيع ، قال ابن بطال : فيه ذم الكفار وذم من تشبه بهم في ألفاظهم ، وإنما لم يعاقبه لأنه ﷺ كان مأمورًا بالصفح عن الجاهلين ، وقد تمسك به من كره السجع في الكلام ، وليس على إطلاقه ، بل المكروه منه ما يقع مع التكلف في معرض مدافعه الحق ، وأما ما يقع عفوًا بلا تكلف في الأمور المباحة فجائز ، وعلى ذلك يحمل ما ورد عنه ﷺ ، وسيأتي مزيد لذلك في كتاب الدعوات . والحاصل أنه إن جمع الأمرين من التكلف وإبطال الحق كان مذمومًا ،وإن اقتصر على أحدهما كان أخف في الذم ، ويخرج من ذلك تقسيمه إلى أربعة أنواع : فالمحمود ما جاء عفواً في حق، ودونه ما يقع متكلفًا في حق أيضا ، والمذموم عكسهما .

(١) الترمذي (٢٨٥٣) وقال هذا حديث حسن غريب من هذا الوجه .

(٢) البخاري (٥٠٩٦) ومسلم (٢٧٤٠) من حديث أسامة بن زيد رضي الله عنهما مرفوعًا

وقال ﷺ : « واتقوا النساء فإن أول فتنة بني إسرائيل كانت في النساء»[١] .

وقال رب العزة سبحانه وتعالى : ﴿ فَلا تَخْضَعْنَ بِالْقَوْلِ فَيَطْمَعَ الَّذِي فِي قَلْبِهِ مَرَضٌ وَقُلْنَ قَوْلاً مَّعْرُوفًا ﴾ [الأحزاب: ٣٢] .

فالإكثار من الحديث مع النساء وخضوعهن بالقول وتكسرهن في الخطاب سبب عظيم من أسباب الفتنة بهن[٢] .

ألا ترى أن النبي ﷺ قال : « من نابه شيء في صلاته فليسبح فإنما التصفيق للنساء »[٣] فشرع للمرأة أن تصفق إذا حدث شيء في الصلاة وأرادت أن تنبه عليه ، وذلك حد علمي والله أعلم - لأن صوتها يُفتن به قوم من المصلين .

فإذا كان هناك ما يدعو للحديث مع النساء فليكن بقدر الحاجة مع ابتعاد عن الفتنة والريبة فالله لا يحب الفساد ، وليكن الكلام باختصار ما دام الاختصار يؤدي الغرض المطلوب .

وقد قال موسى عليه السلام للمرأتين : ﴿ مَا خَطْبُكُمَا ﴾ [القصص: ٢٣] أي ما شأنكما ؟ .

﴿ قَالَتَا لا نَسْقِي حَتَّىٰ يُصْدِرَ الرِّعَاءُ وَأَبُونَا شَيْخٌ كَبِيرٌ ﴾ [القصص: ٢٣] .

---

(١) أخرجه مسلم (حديث ٢٧٤٢) من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه مرفوعًا .

(٢) وليس معنى عدم خضوع المرأة بالقول أن تكون فظة غليظة وجلفة جافة ، فالتوسط في الأمور محمود ، والموفق من وفقه الله .

(٣) أخرجه البخاري (٦٨٤) ومسلم (٤٢١) من حديث سهل بن سعد رضي الله عنه مرفوعًا .

وقال تعالى في شأن إحداهما ، وقد جآءت تدعو موسى عليه السلام للقاء أبيها فقالت : ﴿ إِنَّ أَبِي يَدْعُوكَ لِيَجْزِيَكَ أَجْرَ مَا سَقَيْتَ لَنَا﴾ [القصص: ٢٥]

فأفصحت وأبانت عن حاجة أبيها لموسى وسبب دعاء أبيها لموسى عليه الصلاة والسلام .

ويشرع إلقاء السلام على النساء[١] ما دامت الفتنة مأمونة وقد جآءت أم هانئ رضي الله عنها إلى رسول الله ﷺ فقال عليه الصلاة والسلام مرحبًا بأم هانئ [٢].

وقد جآءت أسماء بنت عميس[٣] رضي الله عنها إلى عمر ودار بينهما نقاش في بعض المسائل .

وقد قال ربنا سبحانه وتعالى : ﴿ وَإِذَا سَأَلْتُمُوهُنَّ مَتَاعًا فَاسْأَلُوهُنَّ مِن وَرَاءِ حِجَابٍ ذَلِكُمْ أَطْهَرُ لِقُلُوبِكُمْ وَقُلُوبِهِنَّ ﴾ [الأحزاب: ٥٣] .

وسؤال المرأة عن دينها وعما تحتاج إليه مشروع أيضًا ما دامت الفتنة مأمونه ففي الصحيحين[٤] من حديث أم سلمة رضي الله عنها أن أم سليم قالت يا رسول الله إن الله لا يستحي من الحق ، هل على المرأة غُسل إذا احتلمت ؟ قال : « **نعم إذا رأت الماء** » .

---

(١) وذلك بلا مصافحة ـ كما هو معلوم .

(٢) البخاري (٣١٧١) ومسلم (ص ٤٩٨) .

(٣) البخاري (٤٢٣٠) ومسلم (٢٥٠٢) ، (٢٥٠٣) .

(٤) البخاري (حديث ٦٠٩١) ومسلم (ص ٢٥١) .

وفي الصحيحين[١] أيضًا أن هندًا بنت عتبة قالت يا رسول الله : إن أبا سفيان رجلٌ شحيح ، وليس يعطيني ما يكفيني وولدي إلا ما أخذت منه وهو لا يعلم ، فقال : « **خذي ما يكفيك وولدك بالمعروف** » .

ووعظ النساء وتذكيرهن وتعليمهن مشروع عند أمن الفتنة .

أخرج البخاري من حديث جابر بن عبد الله رضي الله عنهما قال[٢] : سمعته يقول : قام النبي ﷺ يوم الفطر فصلى فبدأ بالصلاة ثم خطب فلما نزل فأتى النساء فذكَّرهن وهو يتوكأ على يد بلال ، وبلال باسط ثوبه يُلقى فيه النساء الصدقة قلت لعطاء : زكاة يوم الفطر ؟ قال : لا ولكن صدقة يتصدقن حينئذ : تُلقي فتخها ويلقين ، قلت : أترى حقًا على الإمام ذلك ويذكرهن ؟ قال : إنه لحق عليهم ومالهم لا يفعلونه .

وأخرج البخاري[٣] من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال : خرج رسول الله ﷺ في أضحى أو في فطر - إلى المصلى فمر على النساء فقال : « **يا معشر النساء تصدقن فإني رأيتكن أكثر أهل النار** » فقلن : وبم يارسول الله ؟ قال: « **تكثرن اللعن وتكفرن العشير ، ما رأيت من ناقصات عقل ودين أذهب للبِّ الرجل الحازم من إحداكن** » قلن : وما نقصان ديننا وعقلنا يا رسول الله ؟ قال : « **أليس شهادة المرأة مثل نصف شهادة الرجل؟** » قلن بلى ، قال : « **فذلك من نقصان عقلها ، أليس إذا حاضت لم تُصلِّ ولم تصُم ؟** » قلن : بلى قال : «**فذلك من نقصان دينها** » .

---

(١) البخاري (حديث ٥٣٦٤) ومسلم (٤ / ٣٠٤) .

(٢) البخاري (حديث ٢٤٠٦) .

(٣) البخاري (حديث ٣٠٤) .

وفي الصحيحين[١] من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه قال : مَرَّ النبي ﷺ بامرأةٍ تبكي عند قبر فقال : « **اتقي الله واصبري** » قالت : إليك عني فإنك لم تُصب بمصيبتي ولم تعرفه ، فقيل لها : إنه النبي ﷺ فأتت النبي ﷺ فلم تجد عنده بوابين فقالت : لم أعرفك ، فقال : « **إنما الصبر عند الصدمة الأولى** » .

ولا ينبغي أن تشدد عليهن في الحديث وتضيق عليهن تضييقا زائداً فإنهن ناقصات عقل ودين ، وقد قال تعالى في شأنهن ﴿ **أَوَ مَن يُنَشَّأُ فِي الْحِلْيَةِ وَهُوَ فِي الْخِصَامِ غَيْرُ مُبِينٍ** ﴾ [الزخرف:١٨] .

وقال تعالى ﴿ **وَإِذْ أَسَرَّ النَّبِيُّ إِلَىٰ بَعْضِ أَزْوَاجِهِ حَدِيثًا فَلَمَّا نَبَّأَتْ بِهِ وَأَظْهَرَهُ اللَّهُ عَلَيْهِ عَرَّفَ بَعْضَهُ وَأَعْرَضَ عَنْ بَعْضٍ** ﴾ [التحريم:٣] فلم يؤاخذها النبي ﷺ بكل ما صنعت ولم يعاتبها في كل ما قالته .

واستمع إلى مجادلة يوسف ﷺ عن نفسه أمام امرأة العزيز وهى تلقي عليه التهمة وتقول لسيدها وهى المعتدية الباغية آنذاك ﴿ **مَا جَزَاءُ مَنْ أَرَادَ بِأَهْلِكَ سُوءًا إِلاَّ أَن يُسْجَنَ أَوْ عَذَابٌ أَلِيمٌ** ﴾ [يوسف:٢٥] فانظر كيف يجيب يوسف ﷺ على هذه المرأة .

إنه لا ينزل إلى مستوى الثرثرة مع النساء ، ولكن بأدبٍ جم وفيرٍ وخلق كريم غزير يقول مستعملاً ضمير الغائب في الخطاب ﴿ **هِيَ رَاوَدَتْنِي عَن نَّفْسِي** ﴾ [يوسف:٢٦] فلم يتهوك ﷺ في الخطاب ويقل لها أنت راودتيني عن نفسي وفعلت ، وفعلت ، ولكن يتكلم كأنها ليست موجودة فيقول هي

(١) البخاري (حديث ١٢٨٣) .

راودتني عن نفسي ، فالمقام ليس مقام ثرثرة وأخلاق يوسف الكريم ﷺ لا تسمح بذلك .

وانظر إلى إعراض يوسف عن الخوض في مجادلة ومهاترة مع امرأة العزيز التي راودته عن نفسها ثم ألصقت التهمة به بقولها ﴿ **مَا جَزَاءُ مَنْ أَرَادَ بِأَهْلِكَ سُوءاً إِلاَّ أَن يُسْجَنَ أَوْ عَذَابٌ أَلِيمٌ** ﴾ [يوسف: ٢٥] فدافع يوسف عليه السلام عن نفسه بأسلوب مختصر موجز مستعملاً ضمير الغائب ، فقال ﴿ **هِيَ رَاوَدَتْنِي عَن نَّفْسِي** ﴾ [يوسف: ٢٦] وتشرع موعظة النساء بالتي هي أحسن .

وللرجل أن ينبسط في الحديث مع زوجته ، ولو كان كلاماً مما يستحيا من ذكره وذلك لأن الله قال في كتابه الكريم ﴿ **أُحِلَّ لَكُمْ لَيْلَةَ الصِّيَامِ الرَّفَثُ إِلَىٰ نِسَائِكُمْ هُنَّ لِبَاسٌ لَّكُمْ وَأَنتُمْ لِبَاسٌ لَّهُنَّ** ﴾ [البقرة: ١٨٧] والرفث الجماع ومقدماته من الكلام .

المهتدي إلى القول الطيب من هداه الله

فاعلم ذلك وأيقن به

فإن الله سبحانه وتعالى يقول ﴿ وَهُدُوا إِلَى الطَّيِّبِ مِنَ الْقَوْلِ ﴾ [الحج: ٢٤] فترى من هداهم ؟! إنه الله سبحانه وتعالى وقال عليه الصلاة والسلام « اهدني لأحسن الأخلاق لا يهدي لأحسنها إلا أنت »(١).

فسله التوفيق للكلم الطيب وارجه لذلك .

وكذلك فادع الله سبحانه وتعالى أن يحلل عقدة من لسانك حتى يُفقه عنك ما تقول فقد قال موسى عليه السلام ﴿ وَاحْلُلْ عُقْدَةً مِّن لِّسَانِي (٢٧) يَفْقَهُوا قَوْلِي ﴾ [طه: ٢٧ ، ٢٨]

---

(١) أخرجه مسلم (٦ / ٥٧) من حديث علي رضي الله عنه مرفوعاً .

كفارة المجلس

واحرص على أن تختم مجلسك بتلك الكلمات النافعة الجامعة التي كان النبي ﷺ يقولها إذا أراد أن يقوم من المجلس ألا وهى (سبحانك اللهم وبحمدك ، أشهد ألا إله إلا أنت أستغفرك وأتوب إليك[١] .

فهى كلمات جامعة نافعة جمعت بين تسبيح الله سبحانه وتعالى ، أي تنزيهه عن كل مالا يليق به سبحانه ، وجمعت الحمد ، وضُم إلى ذلك كلمة التوحيد (أشهد ألا إله إلا أنت) ثم ختمت بطلب المغفرة منه سبحانه وتعالى ، فلنختم بذلك مجالسنا كما كان نبينا محمد ﷺ يفعل ، صلوات ربي وسلامه على من آتاه الله جوامع الكلم ، نبينا محمد ﷺ .

---

(١) أخرج أبو داود في سننه (٥ / ١٨٢) باسنادٍ حسن من حديث أبي برزة الأسلمي قال: كان رسول الله ﷺ يقول بأخرةٍ إذا أراد أن يقوم من المجلس « سبحانك اللهم وبحمدك، أشهد ألا إله إلا أنت أستغفرك وأتوب إليك » فقال رجل إنك لتقول قولاً ما كنت تقوله فيما مضى يارسول الله ؟ فقال « كفارةٌ لما يكون في المجلس » .

الفهارس

الموضوع | الصفحة

الموضوع	الصفحة

الموضوع	الصفحة

الموضوع	الصفحة

الموضوع | الصفحة

الموضوع الصفحة

تم الصف والإخراج الفني
بمركز الصفا للكمبيوتر
منية سمنود ـ دقهلية
ت : ٠٤٠/٩٦٦١٣٧